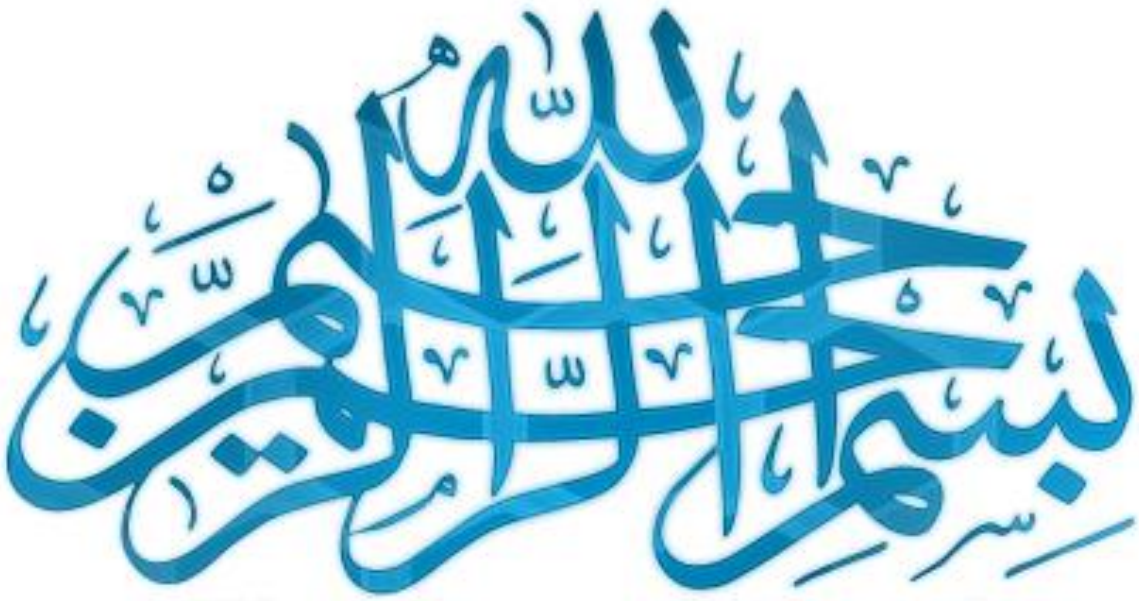
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

قال تعالي: «فاذكروني اذكركم واشكرو لي ولا تكفرون» البقرة الآية 152.

- الحمد والشكر لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل.
- أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف: **الدكتور بومانة محمد** حفظه الله ورعاه ووفقه لما يرضى على النصح والإرشاد والتوجيه في في إنجاز هذا العمل فله مني فائق الإحترام والتقدير
- كما اتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة الكرماء على قبولهم مناقشة عملي المتواضع هذا ، دون ان أنسى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، شكرا لكم

إهداء

إلى أعز الناس وأقربهم لقلبي

ابي وأمي اللذان كانا عونا وسندا وكان لدعائهما

المبارك أعظم الأثر في إنجاز بحثي هذا

إلى من ساندني وشجعني وكان لي خير رفيق زوجي

-إلى الغالية " مّا دنيا" والحبيبة " نسيبة" وأولادي

وإخوتي

إلى كل عائلتي وصديقاتي كل بإسمه

إلى أساتذتي جميعا وكل من علمني حرفا

أهدي هذا العمل المتواضع

الفـــهرس

الفهرس

كلمة شكر وعرفان..... ب

إهداء ..... ج

الفـــهرس..... هـ

مقدمـة عامـة 1

الفصل الأول: المشروع الحضاري عند مالك بن النبي..... 6

المبحث الأول: من هو مالك بن نبي 8

المبحث الثاني: مصادر المشروع الحضاري عند مالك بن نبي..... 11

المبحث الثالث: أسس المشروع الحضاري عند مالك بن نبي 17

الفصل الثاني: الفكر التربوي عند مالك بن النبي..... 39

المبحث الأول: فلسفة التربية عند مالك بن نبي 41

المبحث الثاني: علاقة التربية ببناء الحضارات عند مالك بن نبي 47

الفصل الثالث: إمكانية تجسيد المشروع التربوي والحضاري لمالك بن نبي 61

المبحث الأول: التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي (المدرسة العربية والجزائرية) 63

المبحث الثاني: التجربة الماليزية كنموذج 68

المبحث الثالث: مالك بن نبي والطور النقدي 73

خاتمـة 78

المصادر والمراجع 81

مقدمة عامة

يعتبر مالك بن نبي من بين أهم المفكرين المعاصرين في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة الذين اهتموا بفكرة الحضارة وهو ما نجده في مؤلفاته التي جاءت بعنوان " مشكلات الحضارة" ساعيا إلى إحداث عملية تغيير حضاري ينشده العالم الإسلامي في هذا العصر بدءا بإعداد الإنسان وتربيته ومنطلق ابن نبي في ذلك هو أن كل تفكير في مشكلة تربية الإنسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة.

وهو ما نلحظه ربط بين فكرة الحضارة والتربية باعتبار أن التربية عملية اجتماعية موضوعها الإنسان كمحور مركزي لهذا جعل مالك بن بني من التربية وسيلة لتحقيق غاية التحضر .وتكمت أهمية هذا البحث في التعرف على الخطة التي أتخذها مالك بن نبي في جعل تربية الأفراد أولوية في المضي بتغيير المجتمعات والوصول بها إلى مستوى الرقي والتحضر وتوضيح أهمية المشروع الحضاري لمالك بن نبي خاصة وأنه ينشد وضع أسس حضارة الإنسان وإنسان الحضارة في نفس الوقت.

ومن بين أهم الدوافع التي جعلتني اختار هذا الموضوع:

1. العامل الذاتي: ويتمثل فيما يلي: ميلي للفكر العربي عامة والإسلامي خاصة ولفلسفة مالك بن نبي كمفكر جزائري مسلم فقد أحاط الأخير بجوانب الحياة العملية والعلمية والفنية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية التي تلامس واقع الأمة.
2. العامل الموضوعي:

- الرغبة والشغف في فهم العلاقة الضمنية التي تربط التربية بتشييد الحضارات باعتبار أن إعداد الفرد أهم عامل لتحقيق التغيير الإجتماعي حسب مالك بن نبي.
- الرغبة في إلقاء الضوء على فكر مالك بن نبي عموما خاصة بعد مؤامرة الصمت والتجاهل فالنخبة المثقفة في العالم الإسلامي لا تعرف إلا القليل عن فكر مالك وإسهاماته الثقافية، وهنا يمكننا طرح الإشكالية التالية:

فيما يكمن الدور التفاعلي بين التربية والحضارة حسب مالك بن نبي؟

وتحمل هذه الإشكالية في طياتها عدة تساؤلات وهي كالتالي: ماهي أسس المشروع الحضاري لمالك بن نبي؟ وكيف نظر للتربية والإنسان؟ وما دور التفاعل بين الانسان والحضارة في تنمية المجتمعات؟

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التحليلي ثانيا رغبة في توضيح وتيسير فهم الفكر التربوي لمالك بن نبي وتقديم تصور الدور التفاعلي بينها وبين بناء الحضارة كمشروع.

ومن بين الاهداف التي تم تحقيقها من خلال هذا البحث:

- التوصل لفهم دقيق للعلاقة التي تربط التربية بالحضارة خاصة وأن مالك بن نبي لم يصرح بهذه العلاقة بشكل واضح.
- التعرف على الكيفية التي جعل بها مالك بن نبي الفكرة الدينية أهم مركب تفاعلي لعناصر الحضارة.
- دراسة أهم الأبعاد والأهداف والمجالات التي جعلها مالك بن نبي انطلاقة مشروعه الحضاري.
- التعرف على النموذج الماليزي الذي استلهم اهتماماته من فكر مالك بن نبي.
- إلقاء الضوء على الطور النقدي لمالك بن نبي بين القبول والرفض.

ومن بين الدارسين الذين تبنوا فكرة الغوص في فكر مالك بن نبي بالتحليل والدراسة والشرح:

- ✓ الفكر التربوي عند مالك بن نبي: ل " العابد ميهوب" .
- ✓ التربية في فكر مالك بن نبي: ل " رقية بوسنان".
- ✓ فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر: ل "عمار طالبي" .

ولكي أستطيع الحفاظ على منطق الاطروحة والنجاح في ايصال الهدف المرجو من البحث قمت بتقسيم العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول جاء بعنوان: "المشروع الحضاري عند مالك بن بني" ويندرج ضمنه: المبحث الاول: من هو مالك بن نبي والمبحث الثاني :أهم المصادر التي ساهمت في بلورة فكر مالك بن نبي بداية بالعامل الإصلاحي خاصة تأثره ب " عبد الحميد بن باديس"، العامل الغربي " توينبي"، أما المبحث الثالث فكان بعنوان: " أسس المشروع الحضاري لمالك بن نبي " يندرج ضمنه عدة عناصر: الحضارة عند مالك بن نبي – شروط الحضارة عند مالك بن نبي – مراحل الحضارة عند مالك بن نبي.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان :الفكر التربوي عند مالك بن نبي وعلاقته ببناء الحضارة. وأدرجت تحت هذا الفصل مبحثين: الأول بعنوان: فلسفة التربية عند مالك بن نبي والذي بدوره تضمن العناصر التالية:

- ✓ التربية عند مالك بن نبي.
- ✓ مجالات التربية عند مالك بن نبي.
- ✓ اهداف التربية عند مالك بن نبي.

أما المبحث الثاني: علاقة التربية ببناء الحضارة، وقد تضمن عدة عناصر:

- ✓ الدور التفاعلي العلائقي بين الانسان والمجتمع في بناء الحضارة.
- ✓ الاستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي والحضاري.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان: "إمكانية تجسيد المشروع التربوي الحضاري لمالك بن نبي " وقد اندرج ضمنه مبحثان: الأول جاء بعنوان: التجربة الماليزية كنموذج، وقد قسمت هذا المبحث للعناصر التالية:

- ✓ جوانب تأثر ماليزيا بفكر مالك بن نبي.
- ✓ الاهتمامات التربوية لماليزيا وتاثر محمد مهاتير بالمشروع التربوي الحضاري لمالك بن نبي.

أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: مالك بن نبي والطور النقدي، وقد تضمن العناصر التالية:

- ✓ رؤية نقدية لفكر مالك بن نبي.
- ✓ ماذا بعد مالك بن نبي.

أما عن الصعوبات التي واجهتني خلال إعدادي لهذا البحث:

- اتساع مدى أفكار مالك بن نبي وتشعبها، وعدم قدرتي على الإلمام بكل جوانب الفكر التربوي لديه خاصة وأنه تناوله ضمنيا فقط من خلال التأكيد على مركزية الإنسان في بناء الحضارة.
- تركيز أغلب الدراسات على أسس مشروعه الحضاري دون الخوض في توضيح العلاقة التفاعلية بينه وبين التربية.
- إضافة لعدم كفاية الوقت للبحث الجيد فابن نبي موسوعة يصعب الإلمام بجوانبها بسهولة.

وقد استعنت في إنجازي لهذا البحث بمجموعة من المصادر للمفكر مالك بن نبي أهمها: ميلاد مجتمع، القضايا الكبرى، شروط النهضة ...إلخ

الفصل الأول: المشروع الحضاري عند مالك بن النبي

تمهيد

شكلت فكرة الحضارة محور إهتمام الكثير من المفكرين و المؤرخين و الفلاسفة و المصلحين، و قد كان مالك بن نبي أحد أهم من تناولها حتى لقب بفيلسوف الحضارة و منظّرها فقد كانت مركز دراساته ، حيث نجد كتبه كلها قد صدرت تحت عنوان ثابت هو "مشكلات الحضارة"، و قد ألم بزواياها المختلفة اجتماعية كانت أو تاريخية تربوية ثقافية و فلسفية باعتبارها ظاهرة كونية، فمشكلة مجتمع ما هي حضارته يقول مالك بن نبي "لا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها "[1]، و يربط فكره بالحضارة الدينية، فالإنجاز الحضاري حسبه يقوم على شروط وهي (الانسان، التراب، الوقت) و يؤكد كذلك على الدورة الحضارية و التي تمر بعده مراحل (مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة)، و قد لعبت هذه الدورة (الدورة الحضارية) دورا في صنع ملامح المشروع الحضاري عند مالك بن نبي.

وفي هذا الفصل نتعرف على هذا المشروع من خلال نظرته للحضارة، كما تشير لأهم أسس المشروع الحضاري عند مالك بن نبي وشروطه والعناصر المكونة له، كذلك أهم المراحل التي تمر بها الحضارة في بنائها عنده.

1 _ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص57.

المبحث الأول: من هو مالك بن نبي

1. تعريف مالك بن نبي

مالك بن نبي شخصية ذاع صيتها ربوع عوالم شتى، أحد المجتهدين والمفكرين الإسلاميين الذين قدموا رؤاهم لنهضة بلادهم وقيامها على تقديس العلم، صابا إهتماماته حول مشكلات الحضارة والواقع الإسلامي، وكل هذا آملا في الخروج من شبابيك التخلف والتبعية، وهذا نظرا لتميزه بغزارة فكره وسعة عقله وسماحة دينه.

ولد فيلسوف الحضارة مالك بن الحاج عمر بن لخظر بن مصطفى بن نبي بالجزائر و هو ابن مدينة العلم قسنطينة "1905-1973"، يقول « كان مولدي في الجزائر عام 1905، أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق الآخر من بقي حيا من شهوده، و الاطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده »[1]. بتعبير آخر أنه ولد في زمان يعد نافذة لمستقبل لا يزال في بداية صياغته وتشكله وفي بوابة الخروج من ماضي متمثل في آخر شهوده.

ترعرع بن نبي في حضن أسرة فقيرة ومحافظة من أب موظف بسيط وأم خياطة[2]،بحيث كان همهما تربيته ورعايته وتنشأته تنشأ بدرجة الأولى إعتمادا على ظوابط الدين و السنة وتنشأة اجتماعية وعلمية، بحيث قاموا بإدراجه في المدارس الفرنسية فنجده قد نهل منها و أتقن فيها « أضف إلى هذا أن الفارق الذي كنت أحس به بين المدرستين و المعلمين»[3]، بالرغم من كل هذا لم يفقد جوهره رغم تحصيله الثقافي الفرنسي، ظل متمسكا بأصالته وإنتماءه إلى الحضارة الإسلامية و جذورها، رغم تأثره بحضارة الضفة الأخرى التي تشرب منها ما تشرب.

---

[1] _ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، تر: مروان القنواني – عبد المجيد النعنعي، دار الفكر، دمشق، ط02،1984، ص15.

[2] _ المصدر نفسه، ص18-19.

[3] _ المصدر نفسه، ص24.

في سنة 1930 سافر إلى باريس لمواصلة تعليمه في معهد الدراسات الشرقية، لكن إدارة المعهد لم تقبله « ونودي علينا فدخلنا، ولم تبد لي أية صعوبة في الإختبارات ولكن النتيجة خيبة أمل: لم أنجح » لم يقبل بحجة أنه جزائري ومسلم وهنا يعقب بقوله أيضا « إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة لمسلم جزائري – لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي»[1].

لم يفقد الأمل وانتسب إلى مدرسة اللاسلكي وتخصص في هندسة الكهرباء «.. إذا بفوج من مدرسة اللاسلكي يخرج، وإذا رونيه يقول لي بعد لحظات: – لماذا يا صديق لا تغير اتجاهك وتنتسب إلى هذه المدرسة؟» [2]، وعاش في الحي اللاتيني، حيث كان الجزائريون وأبناء المغرب العربي يعيشون فيه « كنت في هذه الأثناء عقدت بعض الصداقات بمدرسة اللاسلكي » [3]، فوجدها فرصة سانحة لنشر الوعي وسط أبناء جالية المغرب العربي بفرنسا، فنجده تارة يخوض الحديث عن الإصلاح والبناء الحضاري وتارة أخرى عن الوحدة المغاربية [4] بتكتل شمال إفريقيا ضد الاستعمار، كما نجده تشجع وطرح فكرة الوحدة الإسلامية، بعدها فتح بجنوب فرنسا " مرسيليا " مدرسة لمحو الأمية ولكن سرعان ما أغلقتها السلطات الفرنسية بدعوى أنه ليست لديه مؤهلات وأن المكان ينقصه التهوية « إستدعاء بعض المهاجرين الجزائريين ليدير مدرسة نادي المؤتمر الإسلامي الجزائري لأجل تثقيف العمال وتعليمهم، ثم توقفت هذه التجربة نتيجة المنع الإداري»[5].

من باريس غير الوجهة والرحال إلى القاهرة سنة 1956، بحيث يصادف هذا التاريخ إندلاع الثورة الجزائرية قبل عامين، ونجدبأنه في القاهرة كانت له نشاطات فكرية من محاضرات

[1] _ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص216.

[2] _ المصدر نفسه، ص218.

[3] _ المصدر نفسه، ص224.

[4] _ الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، بيروت، ط01، 2002، ص101.

[5] _المرجع نفسه، ص102.

ومساجلات « ..أصبحت القاهرة بالنسبة إليه مركز نشاط ثقافي، أتقن فيها اللغة العربية وأصبح يكتب بها مباشرة، وبدأ يحاضر في المعاهد والجامعات، وتحول بيته إلى منتدى فكري يرتاده المثقفون من الطلبة والأساتذة من داخل مصر وخارجها»[1] وتعد هذه المرحلة الأخصب والأنجع في حياته، فقد أنتج مجموع مؤلفاته.

بعد 33 سنة من الغربة عن أرض الأم، عاد بن نبي إلى وطنه بعد نيله للاستقلال سنة 1962، وهنا يتقلد عدة مناصب منها مستشار التعليم العالي، مدير جامعة الجزائر، وزير التعليم العالي، وفي سنة 1973 من شهر أكتوبر وافته المنية نظرا لتدهور صحته، مخلفا وراءه ثروة علمية وفكرية جليلة تقوم على إثرها الأمم التي تروم إلى بناء حضارتها[2].

[1] _ طاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص102.

[2] _ المرجع نفسه، ص103.

المبحث الثاني: مصادر المشروع الحضاري عند مالك بن نبي

إن أي فيلسوف أو مفكر عند بداية نشاطه أو عمله الفكري لا بد من الإستناد أو الرجوع إلى خلفيات سابقة، أي أنه لا ينطلق من فراغ بل يعتمد على خلفية فكرية، سواء كانت ثقافية أو سياسية أو إجتماعية، وهذا ما يقودنا بدوره إلى التعرف أكثر والإطلاع على شخصية مالك بن نبي والتعرف على أهم الشخصيات أو الجوانب التي كانت دافعا في تكوينه الفكري والإرتقاء به إلى مكانة عالية في العلم والمعرفة.

ويمكن حصر هذه العوامل عدة جوانب وهي العامل الإصلاحي والعامل العربي والعامل الاجتماعي والعامل الغربي:

1. عبد الحميد إبن باديس

يعتبر "**إبن باديس**" رائد من رواد النهضة الجزائرية حيث كان له دور في الفعل النهضوي الإصلاحي في الجزائر بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، وقد كان له أثر بالغ في تكوين شخصية مالك بن نبي وقد تأثر مالك بن نبي بالعلامة "عبد الحميد بن باديس" وزعيم الحركة الإصلاحية في مجالات عديدة، فقد تأثر به خاصة في مجال التربية والتعليم، حيث أنه دعا إلى النهضة وضرورة إصلاح العمل التربوي والتعليمي بغية إنشاء أفراد مثقفين للنهوض بالتجديد والتخلص من الجهل وأشكال الإنحطاط ومحاربة الجمود الفكري والأوضاع المزرية، وبهذا المنهج يمكن ترقية المسلم الجزائري في حدود إسلامية التي هي حدود الكمال الإنساني وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في خلق العمران البشري في حدود عربية التي تمنحه مع الجزائرية والإسلامية الشخصية التاريخية والثقافية المميزة.[1]

وكما نجد مالك بن نبي بأفكار جمعية العلماء المسلمين بزعامة عبد الحميد بن باديس الداعية للنهضة والإصلاح والذي كان شعارهم في ذلك « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

[1] – جيلالي بو بكر، البناء **الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، 2010، باب الواد، الجزائر، ص 29.

بأنفسهم »[1]، فقد كان الإسلام هو المنبع الصافي للتعلم والتثقيف أو المرجعية الإنسانية التي من خلاله يمكن التمييز بين الحسن والقبيح والحق والباطل.

كان مالك بن نبي متأثر بالجانب التربوي " لإبن باديس"، وقد جعل من التربية تتيح لنا أفراد قادرين على الإبداع والإنجاز في جميع مجالات الحياة فينتشر في المجتمع مايسمى بالإصلاح سواء كان في النفوس أو الأعمال أو العقائد والمبادئ الأخلاقية "على أن يتجه الإصلاح إلى إصلاح العقائد أو إصلاح الأخلاق ثانيا لتقويم النفس وبناء الفضائل، إذ أن الباطن أساس الظاهر وأن منطلق النهضة هو الإسلام الذاتي الذي يقوم على الفكر والنظر والإدراك المميز بين الحسن والقبح والحق والباطل وأن الطريق إلى الإسلام الذاتي هو التعليم تعليم الأفراد والجماعات، البنين والبنات والرجال والنساء"[2].

كان مالك بن نبي يكن كل فائق الحب والتقدير "لإبن باديس" حيث كان يقول في بعض هذه السطور كل عبارات الإعجاب: « لقد بدأت معجزة البحث تتدفق من كلمات إبن باديس فكانت تلك ساحة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المحذر يتحرك ويالها من يقظة جميلة مباركة.... فتحولت المفاجأة إلى خطب ومعاناة وهكذا إستيقظ المعنى الجماعي، وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب »[3].

2. العامل العربي

وعلى غرار عبد الحميد بن باديس نجده تأثر بالعديد من المعلمين الجزائريين والذين ساهموا في تثقيفه ثقافة عربية إسلامية، نذكر على أرسهم المعلم أو الشيخ " عبد المجيد" كان يعطيه دروس في النحو حيث قال مالك بن نبي: «تلقيت مع الشيخ عبد المجيد أسس الثقافة العربية

---

[1] – مالك بن نبي، شروط **النهضة**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992، الجزائر، ص 31.

[2] – جيلالي بوبكر، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[3] – مولود عويمر **مالك بن نبي رجل الحضارة**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دس، دب، ص19.

لقد تعلمت تصاريف الأفعال والتمييز بينهما وحفظت شيئا من الشعر». وكما نجده متأثر بالشيخ " مولود ميهوب" أستاذ التوحيد و سيرة النبي.[1]

ونجده كذلك جد متأثر بكتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق " لأحمد رضا" ورسالة التوحيد ل " محمد عبده": « أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول الفكري، منذ تلك الفترة كانت هذه الكتب تصحح مزاجي وحالت دون إنحراف في الرومنطقية لقد أصبت هكذا عددا لا بأس به من المؤثرات الموجهة والمعد لها أو المحركة ».[2]

ولقد كان مالك بن نبي شغوف بالمطالعة والقراءة، فكان يطلع على كتابات إليا أبو ماضي وطالع "أم القرى للكواكبي" وكما أعجب " بالبيان العربي للمنفلوطي" وذلك في كتاب له " النظرات والعبارات"، وكما كان يطلع العديد من الصحف والجرائد مثل جريدة الشهاب والنجاح، والإقدام.... إلخ

أما عن تأثره بالعلامة ابن خلدون فقد اكتشف مالك بن نبي مبكرا أفكاره، وتأثر بها خاصة بعد قراءة كتابه «المقدمة»، وهو مازال طالبا بالدراسات الثانوية. "قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العم، أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدمة إبن خلدون." ويعتبر هذا الكتاب الذي ترجمه إلى اللغة الفرنسية المستشرق الفرنسي وليام دي سلان (1801-1879) من أهم الكتب الذي وجهته أيضا نحو الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والإنسانية والبحث في مشكلات الحضارة فيما بعد.

وذكر مالك بن نبي العلامة إبن خلدون مرة واحدة في مذكراته «شاهد القرن» وهو يسرد أهم المؤثرات الثقافية في تكوينه الفكري. ولم يشر إذن إليه بن نبي بتفصيل وبما يستحق من ذلك،

---

[1] – مالك بن نبي، **مذكرات شاهدة للقرن**، دار الفكر، ط2، دس، دمشق، سورية، ص 51.

[2] – العابد الميهوب، الفكر **التربوي عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة دكتواره العلوم في علم الإجتماع تحت إشراف: نور الدين زمام، قسم العلوم الإجتماعية ،2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 48.

بينما كتب في مؤلفه «القضايا الكبرى» أنه فصل في علاقته بابن خلدون في المذكرات التي أشرنا إليها من قبل.

3. العامل الاجتماعي:

كان مالك بن نبي متأثر كثيرا بالجو الأسري والعائلي، وقد كانت حكايات جدته قد حركت أثر كبير في نفسيته وعملت على تكوين شخصيته، حيث كانت تحدثه على العمل الصالح « سمعت الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي كان محورها العمل الصالح مايليه من ثواب وعمل صالح و ما يتبعه من عقاب، وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري قيمتها، عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي »[1]

وجده الذي غرس فيه الحقد والكره إتجاه المستعمر الفرنسي وتمسكه بحبه لوطنه وأمه التي كانت تبيع كل ماتملك من أجل دفع المال للمعلم الذي كان يحفظه دروس في القرآن الكريم ولا أزال أذكر كيف أنها إضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي كان يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص[2].

4. العامل الغربي:

لقد لعب **أرلوند توينبي** دور فعال وساهم مساهمة جدا فعالة في تكوين والتأثير على الجانب الفكري والشخصي لمالك بن نبي، ويعود ذلك إلى المحيط الدراسي وإحتكاكه ومعاشرته للمجتمع والمحيط الفرنسي.

نجد مالك بن نبي قد أثر فيه العامل الغربي سواء كان معلمين أو مفكرين ومن بينهم المؤرخين الذين كان مالك بن نبي متأثر بهم نذكر من بينهم المؤرخ الإنجليزي " أرنولد تونبي".

---

[1] – محمد العبده **مالك بن نبي مفكر إجتماعي وارئد إصلاحي**، دار القلم، ط1، 2006، دمشق، سورية ص 23.

[2] – مالك بن نبي، مذك ارت شاهدة للقرن، مصدر سبق ذكره، ص 19.

لقد تأثر مالك بن نبي بالمؤرخ " أرنولد توينبي"، حيث كان له أثر في فكر مالك بن نبي وخاصة في نظرته للحضارة حيث نجده قد إقتبس أو إستمد منه أهم فكرة ألا وهي فكرة " التحدي" في بناء وإنشاء الحضارة وقيامها، لكن كان وفق منهج مغاير ومخالف حيث قال مالك بن نبي: « ونحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه المؤرخ توينبي صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم »[1].

وهذا ما نجده قد وضحه في كتابه "ميلاد المجتمع" حيث قال: « والواق أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما الوعد والوعيد و معنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب عليٍّ تحد روحي في أساسه »[2].

ومن بين الأساتذة الفرنسيون الذين كان مالك بن نبي متأثر بهم ومن جوانب متعددة نذكر أهم جانبين في ذلك ألا وهما المنهجي والعملي حيث قال في ذلك: « ضمن جهة كان أساتذتنا الفرنسيون يصبون في نفوسنا محتوى دينارتيا، يبدد ذلك الضباب الذي نمت فيه العقلية الميثولوجية التي تتعاطف مع الخرافات التي في الجزائر »[3]

إنتقل مالك بن نبي إلى فرنسا لمواصلة الدراسة هناك إلا أنه لم يتلقى إستقبال جيد، حيث وجد معاناة كبيرة من حيث السكن، ورغم ذلك إلا أنه لم يكن ذلك عائقا له بل كانت غايته في إكتشاف الوجوه الحقيقية لباريس.

---

[1] – الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية، ط خاصة ،2013، الجزائر ص 81.

[2] – مالك بن نبي **ميلاد مجتمع**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1968، دمشق، سورية ص 24.

[3] – مالك بن نبي، مذك ارت شاهدة للقرن، مصدر سبق ذكره، ص 65.

إكتشف مالك بن نبي " معهد الدراسات الشرقية" وسجل إسمه لكي يتمكن من دخول الإمتحان.[1] وفي جولة أخرى تعرف على " وحدة الشبان المسيحية"[2]، وأصبح مالك بن نبي عضو في هذه الوحدة المسيحية، وأثناء تواجده في فرنسا للدراسة إلتحق بمدرسة اللاسلكي ودرس الرياضيات في هذه المدرسة، لكنه لم يتحصل على شهادة في تلك المدرسة ذلك لأسباب أو ظروف إستعمارية، ثم إلتحق بعد ذلك بمعهد لمتحف الفنون والصناعات لدراسة الكيمياء التطبيقية.

تزوج مالك بن نبي من إمرأة فرنسية مسيحية سنة 1931م، أسلمت وسمت نفسها خديجة[3] فكان زواجه من خديجة يعد عاملا من العوامل في تطوير وتنمية الحس النفسي والروحي لديه.

كان مالك بن نبي محبا للفكر الغربي مما أدى به إلى الإطلاع على أهم الكتب والمؤلفات الغربية ومما أدى ذلك إلى إتقانه للغة الفرنسية.

---

[1] – عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، شبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012 بيروت، لبنان، ص 91.

[2] – عبد الله بن حمد العويسي، المرجع نفسه، ص 92.

[3] – مولود عويمر، مرجع سبق ذكره، ص 14.

المبحث الثالث: أسس المشروع الحضاري عند مالك بن نبي

1. الحضارة عند مالك بن نبي

- **من الناحية الوظيفية**

يرى مالك بن نبي بأن الحضارة:« هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية والتي تتيح لمجتمع معين أن يقدم كل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نمو فالمدرسة والعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر و احترام شخصية الفرد تتمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه»[1].

وعليه فالحضارة مؤلفة من جانبين (مادي ومعنوي) والجانب المعنوي الذي يحرك الحضارة هو الإرادة والإحسان والحب بين الأفراد أما الجانب المادي يقصد به مالك بن نبي مجموع المعدات والوسائل والإمكانات الواجب توفرها ووضعها تحت تصرف سلطة المجتمع من أجل قيام الحضارة وبناء المستقبل.

- **من الناحية البيولوجية:**

« مجموعة من العلائق بين المجال البيولوجي حيث ينشأ ويقوي هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها وجسدها لا روحها »[2].

- **من الناحية التحليلية:**

لقد جعل مالك بن نبي للمركب الحضاري قانون تقوم وفقه الحضارة ويتم من خلال هذا القانون إنجاز وبناء الحضارة وعليه قام مالك بن نبي بصياغة هذا القانون في المعادلة التالية:

---

[1] – مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 43.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 43.

حضارة = إنسان + تراب+ وقت

و يعرف مالك بن نبي الحضارة في قوله: « مفهوم كوني يتجاوز الخصوصيات الدينية ولها قانون كلي يصوغه على شكل معادلة كيميائية حضارة = إنسان+ تراب + وقت»[1] .

فأزمة الحضارة تنحل إلى هذه المشكلات الأولية الثلاث، مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب ومشكلة الوقت، ونحن حينما نحاول التخطيط لحضارة، فليس علينا أن نفكر في منتجاتها وإنما في أشياء ثلاثة في الإنسان والتراب والوقت فحينما تحل المشاكل الثلاث حلا علميا ببناء الإنسان المتكامل والاعتناء بالتراب(الإمكانات الطبيعة) والزمن لتفاعل معا ضمن ما توفره الفكرة الدينية المركب للقيم الاجتماعية من شرارة روحية، فقد تم حل مشكلة الحضارة التي هي الإطار الذي فيه تتم للفرد سعادته[2].

فحسب مالك بن نبي الدين " الفكرة الدينية" هي العامل أو المفهوم الأساسي للبناء وإنشاء حضارة، ويرى أن عنصر الإنسان والتراب والوقت لا يأتي هكذا بشكل عفوي أو تلقائي بل يوجد عامل يدمج ويركب بين هذه العناصر الثلاث، وهذا المركب هو الدين " الفكرة الدينية" حيث يعتبر هو المركب الذي من خلاله يمكن إقامة حضارة " الفكرة الدينية" التي ارفقت دائما تركيب الحضارة من خلال التاريخ [3].

«إن الحضارة لا تبحث إلا بالعقيدة الدينية وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها »[4].

---

[1] – السيد ولد أباه، مرجع سابق، ص 135.

[2] – بدران بن مسعود بن حسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر، ص52، 53.

[3] – مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 214.

[4] – المرجع نفسه ص 244.

ويربط مالك بن نبي الحضارة بالثقافة ويجعلها مماثلة ومطابقة لها وأساس نهوضها وقيامها: «جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة فالثقافة هي جوهر الحضارة».

وفي قول آخر: « فجوهر الأولى هو جوهر الأخرى ضرورة»[1].

ويعرف مالك بن نبي الحضارة إنطلاقا من العناصر التي تتركب منها: « على أنها مركب إجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين»[2].

وعليه فإن الحضارة عند مالك بن نبي تتألف من العناصر الثلاثة الإنسان والتراب والوقت ولا يمكن أن يكون هذا التشكيل أو التركيب للحضارة إلا وفق مركب حضاري معين ألا وهو"الفكرة الدينية".

ومن خلال التعاريف التي توصلنا إليها ومن خلال نظرة مالك بن نبي للحضارة على غراره من المفكرين العرب نجد أن الحضارة عنده تمتاز بمجموعة من السمات أو الصفات تجعلها بارزة عن غيرها من الحضارات:

أ. الحضارة عنده هي مجموعة الأجزاء التي لا يمكن تجزئتها أو الفصل بينهم لأنها يتم تركيبها وفق منهج ومركب هو العامل الأخلاقي المتمثل في " الفكرة الدينية".

ب. تتشكل الحضارة في نظره من جانبين معنوي ومادي، يكون الجانب المعنوي أساس الجانب المادي ويتشكل وفق وجوده.

فالحضارة عنده إذا هي: « نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدمغة التي يدخل بها التاريخ، وهذه الحضارة تتجذر في محيط ثقافي يبدد سائر

[1] – المرجع نفسه، ص 388.

[2] – المرجع نفسه، ص 389.

خصائصها التي تميزها عن ثقافات وحضارات أخرى»[1] ويعرفها كذلك في السياق نفسه: « هي جوهر الوجود للمجتمع وعكسها هي الهمجية والعودة إلى البدائية المترهلة »[2].

فالحضارة حسب مالك بن نبي هي تلك البدايات والإنطلاقات التي من خلالها يدخل الإنسان عالم التقدم والتطور ويدخل عالم النور والعلم وبها يصبح الإنسان قادرا على الإنتاج بنفسه وليس مستورد من غيره، لأن الحضارة هي التي تصنع منتجاتها، وعليه فالحضارة تبدأ من ثقافة المجتمع فالثقافة هي روح وحياة المجتمع: « فالثقافة إذا هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا »[3] ويقول أيضا: « فالثقافة إذا ما تكونت في مجتمع نشأت فيه تلقائيا شبكة الصلات الثقافية وتحددت فيه فعالية »[4].

2. شروط الحضارة عند مالك بن نبي

لقد أخذت الحضارة ومشكلاتها مساحة شاسعة في فكر مالك بن نبي وهذا ما نلاحظه في جميع مؤلفاته فقد نظر للحضارة بنظرة تختلف عن غيره من المفكرين فقد جعل مالك بن نبي الإنسان هو أساس الحضارة بإعتباره الكائن والمخلوق المكرم عند الله سبحانه وتعالى قادر على الإنجاز والإختراع محاولا في ذلك بمختلف جهوده للوصول إلى معالم الرقي والتطور، و بالإضافة إلى شرط الإنسان في البناء إلا أننا نجد مالك بن نبي يضفي إلى هذا الشرط شرطين آخرين وهما التراب والوقت، وعليه بواسطة هذه الشروط يتحقق البناء والنهوض الحضاري ومن خلال الشروط الثلاثة صاغ مالك بن نبي قانون أو معادلة حضارية: **إنسان+ تراب + الوقت = منتوج حضاري.**

وعليه سوف نحاول تحليل أطراف هذه المعادلة

---

[1] – محمد العبدة، مرجع سابق، ص 60.

[2] – المرجع نفسه، ص60.

[3] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص50.

[4] – مالك بن نبي **التأملات**، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية، ص 146.

- **الإنسان:**

إن مالك بن نبي جعل من الإنسان ومشكلاته معيارا أو عاملا للتغيير والبناء الحضاري ويقول في ذلك: « إن كل التفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة»[1] ، ومنه قد جعل من عنصر الإنسان أساسا للبناء الحضاري، ولا يقصد بالإنسان من حيث معناه كفرد بل الإنسان الإجتماعي فالحضارة لا تتكون ولا تبنى على شخص أو فرد واحد فقط ، بل تتشكل من خلال مجموعة من أفراد المجتمع، وبهذا التجمع يشكلون علاقات أو شبكة العلاقات الإجتماعية يساهمون بتقدم وتطور الحضارة وعليه فإن الإنسان بهذا المعنى نجده هو المنتج والعامل المركب للحضارة وذلك من خلال العمل والنشاط المشترك الذي يقوم به أفراد المجتمع الواحد، وهذا ما يؤدي إلى النمو والنهوض الحضاري: « إن العمل الأول في طريق التغيير الإجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا individu إلى أن يصبح شخصا personne وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات إجتماعية تربطه بالمجتمع »[2].

فالإنسان في تصور مالك بن نبي هو العامل الذي يؤثر في حركة المجتمع وسير التاريخ فهو يؤثر فيه بواسطة ثلاثة أشياء بفكره، وعمله وماله، حيث قال: « يجب أن نضع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم الكبرى »[3] ومنه ومن خلال الدور الرئيسي الذي يلعبه الإنسان في البناء والإنتاج الحضارة و بوصفه عاملا يتحكم في حركة وسير المجتمع فإن مالك بن نبي وضع له مجموعة من التوجيهات:

- توجيه الثقافة.

---

[1] – حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: صالح حسن الرقب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية ،2005، غزة، ص 49.

[2] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 31.

[3] – الأخضر شريط، مرجع سابق، ص 246.

- توجيه العمل.
- توجيه أرس المال.

نقوم أولا بتقديم تعريف للتوجيه عند مالك بن نبي:

التوجيه عند مالك بن نبي: « فهو بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف »[1]، ويعرفه كذلك في قوله: « هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأنها تستخدم في كل وقت و المهم أن تدير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية و الإنتاجية »[2].

وعليه فإن التوجيه هو الإبتعاد عن الإسراف في الجهد وحسن إستغلال الوقت وأن توظف العقول و القوى في أجود وأفضل الإستخدامات لكي لا نضيع الأهداف المراد تحقيقها من خلال هذه القوى والعقول والحرص على تحقيق الإنجاز والتطور في جميع مجالات الحياة.

أ. **توجيه الثقافة**

ويعطي مالك بن نبي لتوجيه الثقافة تعريفا في قوله: « بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»[3] وقد وضع أسس وعناصر أساسية تقوم عليهم الثقافة:

* المبدأ الأخلاقي.
* الذوق الجمالي.
* المنطق العملي.

---

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 67.

[2] – المصدر نفسه، ص 67.

[3] – لويزة لعميري مرجع سابق، ص 31.

* الصناعة أو التقنية.

أ. **المبدأ الأخلاقي**

إن للأخلاق دور أساسي في بناء العلاقات الإجتماعية ونموها وتطورها فالأخلاق هي تلك القوة التي تجمع وتربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، حيث قال في ذلك: « لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الإجتماعية و بين المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية»[1]، ومنه فإن المبدأ الأخلاقي هو ذلك الوصل الذي يربط بين أفراد المجتمع ويكون الجامع بينهم.

ب. **المبدأ الجمالي**

وللجمال أهمية بالغة في الحياة الإجتماعية في تصور مالك بن نبي: « المنبع الذي تصدر منه الأفكار وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع، فلا يمكن على الإطلاق لصورة قبيحة أن توحي بالخيار الجميل، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله»[2].

والذوق الجمالي إذا توفر في نفسية الفرد يساعده على الإختراع و التطور في جميع المجالات المتعددة:« فالذوق الجمالي يبعث في الإنسان نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات»[3].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 66.

[2] – أرفنير علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 132.

[3] – لويزة لعميري، مرجع سابق، ص 79.

والذوق الجمالي يكون مرتبط بالمبدأ الأخلاقي ووثيق الصلة به لأنه يساهم ويترك أثر كبير في ترقية وتهذيب النفوس حيث قال: «لأنه يحفز الهمم إلى ما هو أبعد من المصلحة»[1].

ج. **المنطق العملي**

ويعني به مالك بن نبي مدى إرتباط وتداخل العمل بوسائله ومقاصده لأننا نجد في بلدنا أن الجانب التطبيقي للعمل يكاد ينعدم على غرار ذلك أن الجانب النظري للعمل متوفر: « كيف ارتباط العمل بوسائله ومعانيه وبطريقة يتمكن بها الإنسان من إستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة»[2].

د. **التوجه الصناعي(التقني)**

فقد جعل مالك بن نبي من التقنية وسيلة من خلالها يتحصل الفرد على كسب قوته ورزقه، وكما يعتبرها مالك أداة تساهم في نمو المجتمع وتعمل على حفظ كيانه وإستمراره وبقائه (وسيلة للفرد تكسبه عيشه، وتساهم في بناء مجده، وبالنسبة للمجتمع فهي وسيلة للمحافظة على كيانه وإستمرار نموه ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني، ليحل المشكلة الخطيرة للتربية المهنية نظريا وعمليا تبعا لحاجات البلاد)[3].

ب. **توجيه العمل**

وقد جعل مالك بن نبي من العمل إتحاد لجميع القوى الإجتماعية، وذلك أن تكون هذه القوة ترمي إلى نفس الإتجاه ونفس الهدف، لأن بهذا الإتحاد يتطور الوضع الإنساني، مما يؤدي إلى تطوير الواقع والمحيط الإجتماعي والرقي به حيث يؤدي إلى خلق فرص أخرى ومجالات مختلفة للعمل وذلك بإتحاد وتداخل توجيه العمل مع توجيه الثقافة وأرس المال وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي: « أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عام أولا، ثم وسيلة

[1] – المرجع نفسه ص 79.

[2] – المرجع نفسه ص 89.

[3] – أرفنير علي، مرجع سابق، ص 133.

خاصة لكسب الحياة بعد ذلك لأن هذا التوجيه حيث يتحد مع توجيه الثقافة وتوجيه أرس المال يفتح مجالات جديدة للعمل »[1].

ج. **توجيه رأس المال**

نجد مالك بن نبي قد ميز بين مصطلح أرس المال ومصطلح الثروة: « فالثروة مال ساكن وأرس المال متحرك والمطلوب من المسلمين توجيه المال وترشيده فالقضية ليست في تكديس الثروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة البسيطة، إلى أرس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد»[2]، فحسب مالك بن نبي ضرورة إقامة مؤسسات في المجتمع العربي الإسلامي من أجل العمل على تنشيط أموال الأمة حتى لو كانت بسيطة وتحويل وتسيير أرس المال حيث قال: « إننا بحاجة إلى تكوين مجلس لتوجيه الثروة وتوظيفها لتتحول إلى أرس مال»[3]. ومنه فإن الثروة وأرس المال يشكلان دوار مهما في بناء وتطوير الحضارة والرقي بها.

- **التراب**

جعل مالك بن نبي من التراب شرط من شروط البناء الحضاري وبإعتباره عنصر فعال يساهم من خلاله الفرد في النهوض وبناء التاريخ، فمالك بن نبي لا يقصد به بالتراب من حيث مجموعة الخصائص أو السمات المكونة له، بل ينظر إليه من حيث قيمته الإجتماعية ودوره في تشكيل وتسيير حركة المجتمع: « ولكننا نتكلم عن التراب من حيث قيمته الإجتماعية وهذه القيمة الإجتماعية للتراب مستمدة مالكيه فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة»[4].

---

[1] – المرجع نفسه ص 133.

[2] – المرجع نفسه، ص 134.

[3] – المرجع نفسه، ص 134.

[4] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 131.

كما أن التراب عند مالك بن نبي دوره مجال للإنسان وذلك إذا إستعمله إستعمالا حسنا ويصبح مورد وثروة بالنسبة لمالكه وهذا ما يؤدي به إلى تحقيق مجده وبالتالي دخول عالم التجديد والتحضر والتمدن: « إذا قيمة التراب عند مالك بن نبي هي جزء لا يتجزء من قيمة مالكه، فإن كان مالكه متحضر كانت أرضه منتجة وقيمته ثمينة و إذا كان مالكه عاجزا كانت أرضه فقرة لا قيمة لها»[1].

ومن الناحية الفنية أو المظهر الفني يعرف مالك بن نبي التراب: « يقصد به جانب سيطرة الفنية والإستخدام الفني الذي تتجه العلوم المتخصصة كعلم التربية "pedolgie" أو الكيمياء ...إلخ»[2] وقد أكد مالك بن نبي على الدور الذي يصنعه الإنسان في إستغلال وتحويل التراب إلى ثروة وبالتالي يكون هناك تطور في مجالات متعددة سواء الإجتماعية أو الإقتصادية ...إلخ " فالأرض هي مسرح التحضر وعليها يكون إستقرار الإنسان ومن مرافقها السطحية والباطنية يرتفق لإقتناء حاجاته وتنمية أساليب حياته"[3].

وقد دعا مالك بن نبي إلى الإعتماد والإستناد إلى الإمكانيات و الأدوات العلمية، وذلك رغبة في معالجة وحل مشكلات التراب كالتصحر والإنجراف...إلخ حيث أن هذه المشكلات تعاني منها دول العالم الثالث الدول المتخلفة، وذلك من أجل الإعتناء أكثر بمشكلة التراب وإعتباره عاملا للتحضر ووسيلة للتقدم والتطور في المجال الإقتصادي وتحقيق الضمانات الإجتماعية و رفاهية الأفراد وعلى سبيل المثال يضرب لنا مالك بن نبي مثالا عن ذلك بوضع (المجتمع الفرنسي كنموذج الذي كان يعاني من تدهور الوضع الصحي وكانت الرمال محيط الأطلسي هي السبب في تراجع حالته الصحية، ولكن قام بإستغلالها أحسن إستغلال وقام

[1] – أرفنير علي، مرجع سابق، ص 135.

[2] – الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 222.

[3] – المرجع نفسه، ص 222

بتحويلها من منطقة متدهورة إلى منطقة إقتصادية، فقام بغرس الأشجار بأنواعها المختلفة والمتنوعة وأصبحت مكان صحيا يلجأ إليه المرضى من مختلف أنحاء العالم)[1].

ومن بين المشكلات التي يجدها مالك بن نبي سببا في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مشكلة الترحل وهي تعد مشكلة مرتبطة بالإنسان والتراب حيث أن الدول العربية الإسلامية تعاني من هذا المشكل "التراب" وذلك لعدم إستقرار الإنسان في منطقة معينة وإنتقاله من منطقة إلى أخرى لأن الإستقرار يعد عامل من عوامل الإستثمار وهذا الأخير يؤدي إلى التطور الحضاري، ومن بين دول العالم نجد الدول الأوربية التي نلاحظ تقدمها في جميع المجالات على الدول العربية وذلك يعود إلى إستقرارها في أرض واحدة مع المحافظة عليها، حيث قاموا بحسن إستغلالها منذ بداية حياتهم مما أدى بهم إلى التقدم في الحياة الإجتماعية وتطور في مفهوم الملكية ولمس أنماط النمو والرقي أيضا: الحضارة الصناعية حيث قال: « فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة وحيث تكون الأمة مختلفة يكون التراب على قدرها من الإنحطاط»[2].

- **الزمن**

يعد الزمن ثالث عنصر من عناصر المعادلة الحضارية لدى مالك بن نبي فالزمن شرط من شروط البناء والنهوض الحضاري حيث قال في ذلك: « فهو ينساب ويجري في التاريخ»[3] فيرجع مالك بن نبي تطور الحضارات السابقة إلى حسن إستغلالهم للوقت في مجالات متنوعة ويحولونه إلى ثروة لتحقيق التقدم والتطور، وبالرغم من ذلك هناك من لا يراعي أهمية الوقت ويضيعه وهذا ما يؤدي إلى السير في طريق التخلف والتراجع في المجالات الإقتصادية أو الإجتماعية...إلخ وذلك ناتج عن عدم إدراك قيمة الوقت والتغافل عن أهميته التي لا تسترجع ولا ترد حيث قال مالك بن نبي: « حتى إننا ننساه أحيانا، وننسى الحضارات في ساعات الغفلة

[1] – المرجع نفسه، ص 223.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 131.

[3] – الأخضر شريط، مرجع سابق، ص 256.

أو نشوة الحظ قيمته لا تعوض»[1]، فالإنسان لا يدرك ثمن الوقت إلا في حالات الخطر وعند رغبة محافظته على المكوث والبقاء، وهذا ما تكلم عنه مالك بن نبي: « ففي ساعات الخطر في التاريخ، تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، إذا إستيقظت ففي هذه الساعات التي تحدث فيها إنتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر»[2].

فقد عبر مالك بن نبي بكل حرية عن الحضارات التي لم تراعي الوقت والزمن ولم تعرف القيمة التي يحملها، فبهذه اللامبالاة فقد جعل من الوقت أساس الحياة والتاريخ، حيث أن كلما كان بحوزة الإنسان على إدراك الوقت وله القدرة على إستغلاله يكون بإمكانه الإنجاز والإختراع، وتحقيق التطور وهذا ما يؤدي إلى بناء ونهوض حضاري، حيث ضرب لنا مالك بن نبي مثالا عن التجربة الألمانية التي حققت إنتصار في ظل الحرب العالمية الثانية ورغم ذلك إلا أنها حققت إنجاز عظيم وإسترجاع النظام الإقتصادي في ظل تلك الظروف ورغم إفتقاره لجميع الإمكانيات إلا أنه صنع وحقق المعجزة الألمانية وذلك كان راجع إلى إدراك أهمية وثمن الوقت، و كان مالك بن نبي يريد أن يزرع في نفسية العالم الإسلامي العربي نفس الطريق التي سارت فيه الدول الألمانية، في فهمها وإدراكها لأهمية الوقت فيريد من الشعب العربي الإسلامي التفطن والنهوض وإدراك قيمة الوقت وقيمة وأهمية كل جزء من أجزائه، فقد جعل التربية هي الوسيلة الأفضل والإمكان بذلك لجعل الشعب العربي الإسلامي يتفطن من نومه وسباته ويدرك أهمية الوقت والزمن ويستغل كل دقيقة منه في الرقي والتجديد: « إن وقتنا الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباء، كما يهرب الماء من الساقية، ولا شك في أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي الإسلامي قيمة هذا الأمر»[3].

---

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 139.

[2] – نفس المصدر، ص 139.

[3] – مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 219.

البناء والإنجاز الحضاري عند مالك بن نبي يقوم على ثلاثة شروط الإنسان والتراب والزمن وكان الدين المتمثل عند مالك بن نبي في " الفكرة الدينية" فهي تعد الرابط بين هذه الشروط أو العناصر الثلاثة، لأن الدين هو أساس البناء الحضاري وأساس تحريك عجلة التاريخ فإن كان الدين في نظر بعض الشعوب والحضارات سببا لتراجع النمو والجمود الفكري والتخلف والإنحطاط، فعند مالك بن نبي جعله مفهوم وركيزة للانجاز والبناء ورابط بين عوامل وشروط ولوازم نهوض الحضارة.

وفي مقابل هذه الشروط هناك عوامل من الواجب والمستحسن التطرق إليها وهي تعد من شروط البناء والتغيير الحضاري في فكر مالك بن نبي وهي تلك العوالم الثلاثة، عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، وكان كذلك الدين هو الرابط بين هذه العوالم، حيث أنها تعد من مشكلات الحضارة والبناء والإنجاز الحضاري حيث قال مالك بن نبي عن ذلك: « وهنالك في عالم الأفكار داخل المجتمع ت ارتيب بين الأفكار التي تغير الإنسان والأفكار التي تغير الأشياء»[1].

أ. **تكوين عالم الأشخاص**

شرع مالك بن نبي في معالجة هذا العالم " عالم الأشخاص" من إتجاهين إتجاه له صلة بالإنسان والرابط الذي يجمعه بأفراد مجتمعه وعلاقته به كعلاقة التكافل والتضامن...الخ والإتجاه الثاني له علاقة بالإنسان ذاته.

إن العلاقة التي تجمع الإنسان بغيره من أفراد مجتمعه تخلق من خلال هذا الجمع أو التلاقي مجموعة من العلاقات " شبكة العلاقات الإجتماعية" تقوم على أساس الإخاء والتكافل والمحبة...إلخ، وبهذه الصفات يتشكل مجتمع وفق قيم ومبادئ أخلاقية وجعل من الدين عامل أو الراعي الأساسي لتشكيل هذه العلاقات لأنه من خلال هذا العامل نقضي على جميع

[1] – مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، (تر) بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق سورية، ص 58.

الصفات الغير الأخلاقية ونبذها، لأنه يساهم في حماية المجتمع وتنظيفه وتنقيته من جميع الشوائب العالقة واللاصقة في أفراد المجتمع وتنشيط خيط الاتصال والتواصل بين الأفراد وتنمية شبكة العلاقة بينهما: « فالفكرة الدينية تتدخل إما بطريقة مباشرة، وإما بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها، في التركيبة المتآلفة لحضارة ما وفي تشكيل إرادتها»[1].

أما الإتجاه الثاني وهو الإتجاه أو الجانب الذي يبرز دور الإنسان أو الفرد في ذاته والمتمثل في مجموعة الصفات أو القدرات التي يتحلى بها ويتميز بها عن غيره من أفراد المجتمع وهذه القدرات أو الصفات المتميزة لديه تجعل منه كعامل فقال في وسط المجتمع وبالتالي يبرز دوره في المجتمع، وبالتالي يكون ذلك كإنطلاقات أو بدايات التغيير الاجتماعي« وان العمل الأول في طريق التغيير هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا إلى أن يصبح شخصا وذلك بتغير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات إجتماعية تربطه بالمجتمع»[2]، ويقول كذلك في نفس السياق: « وبالتالي يجعل من خلال مجموعة خبراته والمفاهيم وإمكانياته الذاتية وثقافته بإعتبار أن الثقافة هي تلك الجانب الذي يتكون فيه شخصية الفرد وتربط الفرد بأفراد مجتمعه من خلال العادات والتقاليد المشتركة أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع أخر»[3]،« والثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد ويقدم له الروابط الإجتماعية»[4].

ب. **تكوين عالم الأفكار**

إتخذ مالك بن نبي وجعله المقوم الثاني في مشروعه الحضاري، ومن الصفات والمميزات التي يتحلى بها هذا المقوم بإعتباره عاملا بناءا وأن المؤسسين له أحدهما متمسك ومرتبط بالعنصر السابق المتدخل في بناء شخصية الفرد أما الثاني فهو الذي ينحصر في قدرة وإمكانية

[1] – مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 60-61.

[2] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 31.

[3] – مالك بن نبي، التأملات، مصدر سابق، ص 147.

[4] – العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 175.

الفرد على الإكتساب (ومدى ما تقدمه الفلسفات العلمية والثقافية من محفزات للطاقة الإستيعابية للفرد)[1] ورغم ذلك فتبقى الثقافة تختلف عن باقية العلوم بإعتبار أن المجالات العلمية لها ما يميزها من مبادئ ومرتكزات أساسية تتحلى بها وتتصف بها كل العلوم ونظرياتها ومناهج تقوم عليها، وعليه قد تبقى جميع الأسس ونظريات نفسها متداخلة حتى و إن إختلفت مناهج إكتسابها من فرد إلى آخر، وتبقى الثقافة كذلك شيء مغاير إلى ذلك فهي تختلف من مجتمع إلى آخر فكر مجتمع ما يميزه عن غيره من المجتمعات، ومنه فلكل مجتمع ثقافته الخاصة به، ويعرف مالك بن نبي الثقافة في تصوره: « مجموعة من الصفات الخلقية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه» [2] ومن جهة أخرى يعرفها في قوله التالي: « فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر»[3]، فالثقافة عند مالك بن نبي هي الحيز الذي يشكل ويتكون فيه الفرد ويبني شخصيته على غرارها لكن كانت من بين الأسباب التي أدت إلى تدهور الأوضاع الحضارية، وهدم البناء الحضاري هي إتباع ثقافات الغير والتقليد الأعمى للغرب وثقافته والإبتعاد عن ثقافة مجتمعه، التي باعتبارها المشكل لشخصيته وهويته، وهذا ما جعل مالك بن نبي يجعل من الثقافة عاملا وعنصرا أساسي في بناء شخصية الفرد وتكوينه وتكوين وعيه وفكره، فهي بمثابة السلاح الذي يستعين به الفرد في مواجهة والوقوف في وجه الاستعمار أو أي عدوان خارجي، أي أن الثقافة هي التي تمد الفرد بالقوة والشجاعة لمواجهة الإستعمار والتصدي له والذي يحاول القضاء على هوية المجتمع، وعليه يصبح أفراد المجتمع أكثر قابلية تعايشا للاستعمار وأشكاله.

يسعى مالك بن نبي إلى جعل الفرد يتحلى بأسمى معاني الأخلاق والقيم، والمبادئ حيث دعى إلى القيام بالواجبات أولى من المطالبة بالحقوق، وعليه فإن مالك بن نبي يرى بأن

---

[1] – العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 176.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 74.

[3] – المصدر نفسه، ص 74.

من أولويات الفرد أن لا يجوز له المطالبة والمناداة بالحقوق قبل أداء الواجبات، وهذا كان سبب من أسباب التي تؤول على أن لا يتكون شعوريا أكثر أثناء ممارسة للأعمال التي يؤديها، ولا يتحمل مسؤولية ذلك الشيء، وهذا ما نلاحظه في المجتمع الجزائري بارزا (إننا نطالب بحقوقنا تلك الحقوق الخلابة المغرية التي يستسهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب: طريق الواجبات)[1] وفي قول آخر: « فطالبوا بالحقوق التي هضمها الإستعمار وأغفلوا الواجبات، وأصبح هذا الكلام من أروع مظاهر المأساة التي يعانيها الجنس البشري في عصرنا»[2].

ج. **عالم الأشياء**

يعتبر هذا العنصر آخر عنصر ضمن العناصر السابقة التي جعل منه مالك بن نبي وإعتبره شرط أساسي في مشروعه الحضاري، حيث تعد هذه المرحلة هي آخر مرحلة بعد مرحلة تكوين الأشخاص ومرحلة تكوين الأفكار النابعة من مرحلة الأشخاص، وتكون مرحلة الأفكار ذات إنسجام وتناسق والغاية والهدف التي تسعى إليها وهي إبراز دورها في إحداث تغيير يكون فعالا وبناءا في مسار وحركة المجتمع، وذلك من خلال التوجيه الايجابي قوامه مجموعة من المناهج العلمية المختلفة.

فكرة التوجيه عند مالك بن نبي: « وحدة في الهدف... فكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حيث زحمتها قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر، متجهة إلى نفس الهدف»[3] إن التوجيه يلعب دور أساسي ورئيسي في حياة المجتمع ولهذا فإن غيابه يؤدي بكوارث وخيمة وقد تمس المبادئ والقيم الأخلاقية، مما قد يؤدي بإنحلال المجتمع وبالتالي تدهور البناء والنهوض الحضاري، ولهذا يجب أن نجعل أعمالنا تقوم على الفاعلية والجدية في العمل لأن بذلك ندخل عالم النهضة والتمدن: « إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من (اللافاعلية)

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 35.

[2] – نفس المصدر، ص 147.

[3] – نفس المصدر، ص87.

في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة»[1] وعليه فإن الإنسان إذا إتصفت أعماله وميزتها الفاعلية، فإنه أولا يساهم في تلبية مستلزماته وحاجاته وبالتالي تعم الحركة والنشاط في المجتمع، وينمو ويسير في درب التطور والرقي ودخول عالم التحضر، لأن الإنسان هو المسؤول على حركة التاريخ وسكونه وركوده وجموده يؤدي إلى سكوت المجتمع وحركته وفعاليته تؤدي إلى تطور وإزدهار المجتمع والتاريخ حيث قال مالك بن نبي: « إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف إجتماعية ثلاثة، تأثير عالم الأشخاص تأثير عالم الأفكار، تأثير عالم الأشياء»[2]، حيث أن هذه العوالم الثلاثة تعمل عملا متداخلا ومتكاملا أي يكون نشاطها متوافق ومنسجم مع بعضها البعض ويؤدي بدوره إلى التغيير في مجالات الحياة أو يصح القول أو التعبير إلى تطوير المجتمع وبناء حضارة في إطار شبكة العلاقات الإجتماعية: « إن (عمل) المجتمع ليس مجرد إتفاق (عفوي) بين الأشخاص والأفكار والأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الإجتماعية الثلاثة التركيب الذي يحقق معه ناتج هذا التركيب في إتجاهه في مداه (تغيير) وجود الحياة، أو بمعنى أصح:

تطور هذا المجتمع»[3].

ورغم ذلك حسب مالك بن نبي يرى بأن الإنشاء الحضاري ونهوضه ونمو علاقات المجتمع وبنائها، تستند وتبنى وترتكز على عالم الأفكار بشكل أكبر أي أن الأشياء المتاحة والبارزة في عالم الأشياء تم شراءها من عالم الأفكار، أي أن عالم الأفكار هو الركيزة التي يستند ويقوم عليها عالم الأشياء في بناء عالمه، ومن دونه يكون عاجز كل العجز عن الوقوف وأداء مهامه ووظائفه: « إن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعة (الأشياء) في هذا المجتمع، ولكن بمجموعة من أفكاره»[4].

---

[1] – نفس المصدر، ص 96.

[2] – جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 42.

[3] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 27.

[4] – مالك بن نبي، فكرة الكومنويلث، مصدر سابق، ص 53.

3. مراحل الحضارة عند مالك بن نبي

إن مالك بن نبي أثناء دراسته لمراحل الحضارة الثلاثة على الحضارة الإسلامية و إبراز وتوضيح الدور التاريخي أو الدورة التاريخية للحضارة، فحسب مالك بن نبي، إبن خلدون هو أول من إستنبط فكرة (الدورة) في نظريته عن الأجيال (الثلاثة)[1] ويمكن الإشارة إلى أن مالك بن نبي يحاول أن يجد تبريرا من خلال الحضارات الأخرى بإعتبار أن كل حضارة تختلف عن الأخرى، فالحضارة في تصوره تنتقل من مكان لآخر ومن مجتمع لأخر لتمارس دورتها الحضارية، ومنه فالحضارة عند مالك بن نبي تنتقل من شعب إلى آخر لتبدأ دورتها حيث قال: « تكون نهاية (دورة) وهجرة (حضارة) إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة، طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد»[2] وفي قوله أخر: « تسير الحضارة كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض، مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر»[3].

فكل حضارة تختلف عن غيرها، لأن كل مجتمع يتميز عن غيره، فكل حضارة لها سماتها ومواصفاتها الخاصة بها، ولهذا نجد مالك بن نبي يرجع ترابط أجزاء وعناصر ووحدات الحضارة إلى البعد الديني " الفكرة الدينية" وكل مرحلة من مراحل الدورة الحضارة تكون محدودة بقواعد والأزمات نفسية وتكون هذه الشروط النفسية ترجع إلى المقتضيات الروحية التي تركتها الفكرة الدينية في نفسية خاصة المجتمع، كما قلنا سابقا بأن كل حضارة تختلف عن غيرها بواسطة تلك الشروط النفسية والإجتماعية بها تتميز حضارة عن غيرها حيث قال مالك بن نبي: « إن كل دورة حضارية عند مالك بن نبي تختلف عن سابقتها و لاحقتها فهي محدودة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين، وهي تستمر في هجرة متواصلة لانهاية لها، لتتركب من جديد من الإنسان والتراب والوقت»[4].

---

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 28.

[2] – المصدر نفسه، ص 31.

[3] – أرفيس علي، مرجع سابق، ص 138.

[4] – المرجع نفسه، ص 138.

أ. **مرحلة الروح**

أو مرحلة الصعود وهذه المرحلة تمثل عند مالك بن نبي بمثابة تلك الشعاع للفكرة الدينية وبدأت هذه المرحلة مع نزول أول آية في القرآن الكريم في غار حراء، لذلك نجدها لها تأثير على نفسية الإنسان، ويكون الفرد في هذه المرحلة يعيش وفقا لغرائزه ولكن عند مجرد ظهور الفكرة الدينية، والتي تعمل هذه الأخيرة وفق قانون شرطي يقوم بتنظيم وضبط غرائز الفرد في إطار علاقة وظيفية لكن دون القضاء عليها، وبهذا الشكل يصبح الفرد بممارسة نشاطاته وتحركاته مقتضيات حياته وفقا لقانون الروح: « وهذه العملية الشرطية في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية: فالحيوية الحيوانية تمثلها الغرائز بصورة محسوسة لم تلغ ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين»[1] وبواسطة التغيير أو التحول التربوي الذي ساهمت به هذه المرحلة في تحسن سلوك الإنسان وتجديد نفسية، وفي حركة المجتمع، حيث يساعد هذا التجديد في بروز علاقات إجتماعية متفاعلة ومنسجمة مع بعضها البعض ومن بين الآثار الفعالة والإيجابية التي تترتب عن هذه المرحلة وما تتركه في نفسية الفرد والمجتمع.

- دخول الفكرة الدينية إلى حياة الفرد إيجابية حيث تعمل على تغير نفسية الفرد وتطوير وتنمية سلوكاته وتصرفاته، بحيث يصبح بواسطة هذا التغيير إنسان له دوره و مكانته الفعالة في المجتمع، وهذا يؤدي إلى بدايات لتأسيس حضاري: « وهذا الإنتقال من البدائية الراكدة إلى الحياة العاملة الناشطة، هو الذي سجل بداية حضارة ما أو نهضة معينة، لكن هذا الإنتقال يظل في التاريخ من الظواهر غير المفهومة لو أن تستلزم وسائل غير التي تقدمها البيئة ولو أنه إستخدم في الحصول على تلك الوسائل شيئا غير ما تمنحه من قدرات طبيعية يسيطر بها على ذاته وعلى وقته»[2].

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 76.

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 98.

- بواسطة التغيير أو التحول التربوي الذي ساهمت به هذه المرحلة، في تحسين من سلوكات وتصرفات الفرد وتجديد في نفسية الفرد و تنظيمها وضبطها، وكما مس هذا التحول حركة المجتمع، وذلك في بروز وظهور علاقات إجتماعية متفاعلة ومنسجمة مع بعضها البعض مما يشكل شبكة علاقات إجتماعية: « فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان، هي التي تلد العلاقة الإجتماعية، وهذه يبررها تربط مابين الإنسان وأخيه الإنسان فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية مع من الوجهة التاريخية على أنها حدث ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور إجتماعي واحد»[1].

ب. **مرحلة العقل**

وهي المرحلة الثانية من الدورة الحضارية حيث في هذه المرحلة يتقدم بكل سيادته ويتولى مهمة القيادة وبالتالي يسيطر على جميع الخصائص والملكيات وفي هذه المرحلة يكون إنتشار وظهور أكثر للفكرة الدينية وبالتالي يزداد المجتمع تطوار وبها تقوى وتنمو أكثر وأكثر علاقات المجتمع ويسير في مرحلة الإزدهار التي يميزها الإختارع والإبداع في مجالات عدة.

وتتقدم وتتطور العلوم والفنون، وهذا ما يؤدي بدوره إلى إنتشار في الحضارة وإمتدادها ويكون ناتج عن تراجع دور " الفكرة الدينية" وفاعليتها وعدم قدرتها على السيطرة على العقل فتحرر الغرائز وتنتشر وبالتالي يتفكك المجتمع وعلاقاته وظهور بشكل واسع لمظاهر الظلم والفساد والتخلف وهذا ما يؤدي إلى هدم العمران وكل بناء حضاري: «فدورة من دوارت الحضارة تولد في بعض الظروف النفسية الزمنية توقفت تلك الدورة لتبدأ أخرى في ظروف جديدة بدورها إلى ظروف مختلفة. فهذا هو القانون الذي خط على مراتين خلال التاريخ ذلك (الطريق الصاعد)، الطريق الذي منحته البشرية في بطء وروية، وبذلك تمتزج غاية التاريخ بغاية الإنسان»[2].

---

[1] – مالك نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 56.

[2] – مالك نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 178.

ج. **مرحلة الغريزة**

وهي مرحلة السقوط والانهيار الحضاري، حيث في هذه المرحلة يكون تحريك كلي لغرائز وفي هذه المرحلة ينتهي الدور الذي تأخذه " الفكرة الدينية" وذلك بسبب الانتشار والامتداد الواسع للغرائز وتحريرها في المجتمع، حيث أنها تصبح عاجزة كل العجز عن أداء مهامها ووظائفها بسبب إنحلال وتفكك البنية الأخلاقية للمجتمع وبالتالي تحرر الأفراد وظهور الأشكال السلبية وهذا ما يؤدي إلى سقوط وهدم الحضارة وموتها: « وعندما يبلغ هذا التحرر تماما الغريزة التي تكشف عن وجهها تماما وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية "للفكرة الدينية" التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ وبذلك تتم دورة الحضارة»[1] (إنما الدوافع السلبية التي خلفتها(صِفِّين) في المجتمع الإسلامي يوما فيوما، إلى أن أتى القرن الثامن الهجري، فأخذت الحضارة الإسلامية في الأفول وبدأت الظلمات تغمرها في الأندلس)[2].

وعليه يمكن القول بأن الدورة الحضارية عند مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل، هي مرحلة الروح، ومرحلة العقل، ومرحلة الغريزة: « المراحل الثلاث في هذه الدورة تعبر عن الأدوار الثلاثة التي يمر بها: الحالة الكاملة، فيها تكون جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (الروح)... والمرحلة التالية هي المرحلة التي تكون فيها جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (العقل)... أما المرحلة الثالثة فتصور نهاية تحللها تحت سلطان الغرائز المتحررة من وصاية الروح والعقل، فيها يصبح النشاط المشترك مستحيلا»[3]، أي أن بواسطة هذه المراحل تساهم في حركة التاريخ وعليه يجعل الحضارة في حالة تعاقب دوري.

---

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 69.

[2] – مالك بن نبي، التأملات، مصدر سابق، ص 44.

[3] – بد ران مسعود بن حسن، مرجع سابق، ص 80.

خلاصة

نستنتج من خلال ما تطرقنا له في هذا الفصل وبعد تعرفنا شخصية مالك بن نبي وأهم العوامل التي بلورت فكره وساهمت في توجيه فلسفته وجعلت منه مفكرا متميزا أنه أسس لمشروع نهضوي حضاري سعى من خلاله لإحياء أصالة الأمة الإسلامية والعمل على تفعيل ثقافتها وتراثها وقد استند على ضرورة التغيير الاجتماعي بدءا بتعليم الأفراد فن الحياة المشتركة، كما اتخذ للحضارة شروطا يجب توفرها (الإنسان التراب الزمن) ولضمان التفاعل بين هذه العناصر أكد على مركب " الفكرة الدينية" لما لها من أهمية في سير حركية التاريخ، وعليه فالتجديد الحضاري يبدأ من تهيئة الإنسان وتربيته لأن التغيير الإجتماعي يستوجب تغييرا على مستوى الأفراد أولا.

الفصل الثاني: الفكر التربوي عند مالك بن النبي

تمهيد

لقد ركز مالك بن نبي على فكرة التربية باعتبار أنها الروح التي يستمر بها المجتمع، وهي تجسد الجانب التطبيقي و العملي للقيم على شكل سلوكات و معاملات، وبما أن موضوع التربية الاجتماعية هو الفرد، فأهم مضمون لها هو إحداث تغيير سليم في فكر الفرد و نفسيته، و قد خصص من أجل هذا جانبا كبيرا من فكره حيث اعتبر أن التربية بالإضافة لكونها عملية اجتماعية فهي حركة تثقيفية تضع حضارة المجتمع، وضمن التربية تكتسي الأسس التي تبنى عليها و الأهداف التي تتوخاها و المجالات التي تتفرع لها، أهمية كبيرة في فلسفة هذا الرجل و هذا ما سنتناوله في هذا الفصل حيث سنحاول الالمام بفكرته التربوية و أهم الابعاد التي ترمي إليها فلسفته التربوية من أجل النهوض بحضارة الانسان و المجتمعات.

المبحث الأول: فلسفة التربية عند مالك بن نبي

1. التربية عند مالك بن نبي

لم يشر "مالك بن نبي" لمفهوم واضح و محدد للتربية في مؤلفاته ، فقد تحدث عنها بشكل غير مباشر، عكس المفكرين العرب الذي تناولو مفهومها مباشرة و بشكل تلقائي، و يمكن أن نستخلص مفهوم التربية عنده من خلال فلسفته التربوية و كل ماله صلة بإنتاجه الفكري بأبعاده المختلفة خاصة و أنه ربط التربية بالثقافة : «إنها عملية تثقيف متواصلة و تتمثل عملية التثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة»[1]، االتربية كمفهوم مرتبط بالدين نجد "مالك بن نبي" قد ربط مفهوم التربية بالعديد من المفاهيم فهي تعنى بضاعة الانسان لذا فهي أداة معرفية نظرية و تطبيقية لتجسيد المشروع النهضوي ، كما أنها تسقي جذورها من المجتمع ، و تنضج ثمارها ب " الفكرة الدينية " و هي ركيزة الأفراد في المجتمع الواحد و من خلالها تنضج الروابط و العلاقات الاجتماعية ، و يتجدد البناء و التحضر و التغيير نظرا لابعادها و أهميتها القصوى في المجتمع ، فقد اهتم بالدين في الغالب من حيث كونه الركيزة التي تصوغ الشخصية الحضارية و المركب الكيميائي الذي يدمج العناصرالتركيبية للحضارة، و لم يعني مالك بن نبي هنا حشو المناهج التعليمية بالخطاب الديني و إنما القصد من ربطها بالدين الإسهام في توليد الأفكار و المعارف بواسطة العقل المسلم ليتموضع في العالم و يستعيد حيويته الحضارية، ليست التربية مجموعة من القواعد و المفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع و عالم الأشخاص، و عالم الأفكار و عالم الشياء و ليست من إنتاج النتعاملين بحار العلوم ، الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم دون أن يسلموا بما تترجم هذه

---

1 _العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع تحت إشراف، نوردين زمام، قسم العلوم الاجتماعية، 2014 جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص179.

الكلمات من وقائع خيرا أو شرا،بل هي وسيلة لتغيير الإنسان و تعليمه كيف يعيش مع أقرانه، و كيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما.

و يقدم الدين بديلا تفسيريا لقيام الحضارات و كل المنجزات البشرية « كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي، و في الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو المراحل البدائية وجد سطورا من الفكرة الدينية »[1].

- **التربية كمشكلة** : في مختلف مؤلفات مالك بن نبي الموسومة بمشكلات الحضارة نجد أنه ركز على عامل أساسي هو الانسان باعتباره أساس الهدم و البناء و محرك التغيير، ففشل الأنظمة السياسية أو المؤسساتية، سببه الرئيسي هو الانسانن لذا وجب البعد عن كل ما يؤدي إلى ركوده و جموده الفكري، إضافة إلى الإبتعاد عن التقليد الأعمى فهو آفة الانسان و أهم عامل يوقعه في الانحطاط و التخلف « لا نواجه تغيرا في النظام السياسي بل أن التغير يصب على الانسان ذاته، الانسان المتحضر الذي همته المحضرة فأعجزه فقدها من التمثيل و الابداع، و ليس من الصواب أن نبحث عن النظم، بل عن العوامل الإنسانية المتمثلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراث و الوقت، إن التركيب الأساسي نفسه قد تحلل فتحللت معه الحياة الاجتماعية و أحلت مكانها للحياة البدائية»[2].
- **التربية كتنشئة اجتماعية**: إن التربية عند مالك بن نبي تعمل على تحقيق التنشئة الاجتماعية و ضبط سلوك الفراد وفق النسيج العلائقي الاجتماعي، فهي تلازم الفرد منذ ولادته، و لا تنفصل عنه حتى وفاته، و هي حسب تصوره ليست من طبيعة فردانية مثلما تذهب بعض المقاربات التربوية التي تجعل منه التربية تنمية للقيم لدى الفرد

---

1 _مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، دار القلم، دمشق، ط4، 2000م، ص69.

2 _العابد ميهوب، مرجع سابق، ص206، 207.

ليندمج مع مجتمعه فقط ، بل هي ذات ابعاد حضارية شمولية تنهض بالمجتمعات أو تدمرها « يمكن أن يكون موضوع التربية الاجتماعية، إذ يجب أن تغير أساسا الصفات النوعية الخاصة بالفرد، إلى صفات اجتماعية تحدد معالم الشخص، أعني تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة بواسطة الغرائز إلى طاقة اجتماعية خاضعة لمراقبة نظام الانعكاسات المتكونة لدى الفرد بفضل تكيفه»[1].

لا يمكن للمجتمع أن يتغير إلا إذا تغير الانسان وفق تعاليم الدين و على قواعد أخلاقية إسلامية و ثقافية ضمن إطار تواجده الاجتماعي المشترك «فتحمل التربية على تغيير ذات الانسان من فرد غرائزي إلى شخص مكيف ضمن النشاط المشترك»[2].

و قد استعان مالك بن نبي في تحديد قواعد التربية الاجتماعية بعلم التاريخ تحديدا وفق القول بنمطية و ثبات، هذه القواعد زمانيا و مكانيا، حتى و إن تغيرت المجتمعات ذاتها « و منهجنا الذي اتبعناه حتى الآن يرجع بالتحديد إلى التاريخ، و ذلك كي نستخرج تلك القواعد في صورتها النظرية، هذه القواعد هي ثوابت التاريخ تلك التي لا يغيرها الزمن على حين يغير المجتمعات لأن نهضة مجتمع ما تتم في الظروف العامة نفسها التي تم فيها ميلاد كذلك يخضع بناؤه و إعادة هذا البناء للقانون نفسه»[3]

2. مجالات التربية عند مالك بن نبي

- **التربية الأخلاقية:**

اعتبر مالك بن نبي أن بناء اللحمة الاجتماغية ماهو إلا تمثل القيم الإسلامية في الواقع المعاش و التركيز مع فعالية هذه القيم عمليا فأخطر ما يمكن أن يصيب الانسان

[1] _ ميلاد مجتمع ص81.

[2] _ العابد ميهوب، مرجع السابق، ص276.

[3] _ميلاد مجتمع، ص78.

هو الانفصام بين مبادئه و تطبيقاته و بشكل أخص بين النموذج القرآني و التطبيق العملي « فالأخلاق هي التركيب التربوي للعناصر الثقافية لتحقيق نهضة حقيقة»[1].

- **التربية الجمالية:**

أو مايمكن أن نقول عنه الذوق الجمالي للتربية حيث أن أنماط السلوك حسب مالك بن نبي لا ينفصل فيها الجمال عن الأخلاق و هو يجد في الصورة القبيحة، حيث يرى أن الجمال هو الركيزة التي تشكل منها الحضارة[2]، و هو المرجعية لجميع الأفكار، فالذوق الجمالي إذا انطبع في فكر الفرد ترك أثرا كبيرا حيث يوجهه إلى طريق الخير و الصدق و الاحسان في العمل، لأن التوجه الجمالي يتطلب و يستلزم أولوية المبداالاخلاقي باعتباره المقوم الأساسي الذي تنهض عليه التربية الجمالية « إذا كان التوجيه الغربي في الثقافة الغربية لا يمنع من تصوير جسد المرأة، و هي عارية، فإن القيمة الأخلاقية المستمدة من الإسلام لا تسمح للتربية الجمالية أن تنهج هذا الإتجاه »[3]، و يبقى الجمال الأخلاقي و التربوي أساس البناء الحضاري «إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أي حضارة فينبغي أن نلاحظه في أنفسنا، كما ينبغي أن يمثل في شوارعنا و بيوتنا و مفاهيمنا مسحة جمالية، كالتي يرسمها مخرج رواية في منظر سينيمائي أو مسرحي»[4].

- **التربية المدنية:**

وتعرف أنها «جانب التربية الذي يهدف إلى تنمية شعورالفرد للتعايش داخل جماعة لتحقيق فائدة متبادلة، و هي التربية التي تركز على موضوعات محددة تهتم بأخلاق

---

1 _ العابد الميهوب، مرجع سابق ص 265.

2 _ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص85.

3 _ العابد الميهوب، مرجع سابق ص 257.

4 _ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 86..

المواطن و بسلوكه في مجتمعه و بجوانب سياسية و وطنية »[1]، و هو ما يقصد به مالك بن نبي ضرورة التحلي بروح المواطنة و المدنية في الفرد و المجتمع و تعاليم الديمقراطية في شعور و سلوك الأفراد.

- **التربية الإنمائية:**

من خلال تمكين الإنسان من تحصيل الخبرة و تفعيلها من خلال الإستناد على الإرادة و الانتباه و القضاء على الاستسهال و كل أشكال المعاطلة، و من أهم أوجه هذا المجال التربوي التربية الاقتصادية « توجيه نمو الفرد الإنساني وجهة ترتضيها الجماعة و يتعارف عليها الناس و يقرها النظام السائد في التعامل الاقتصادين خاصة فيما يتعلق بجانبي الإنتاج و الاستهلاك بوصفها الركيزة الأساسية لحياة الافراد و المجتمعات »[2] فالفاعلية في التسيير عن طريق تسخير جميع الإمكانات و توظيف نتائج العلم في سبيل ذلك.

3. أهداف التربية عند مالك بن نبي

- **تغيير الانسان**

و المقصود بالتغيير عند مالك بن نبي هو توجيه طاقة الإنسان الحيوية و التي تنطلق في صورتها الأولى من حفظ النوع إلى صورتها الاجتماعية و قد تهدم الصورة الأولى المجتمع إذا لم تعدل و تخضع لنظام دقيق تفرضه فكرة عليا تحولها من طاقة بيولوجية إذات وظائف اجتماعيةحتى يسهم الانسان في بناء نشاط علائقي مشترك، و هو إشارة تأكيد على الدور الذي تقوم به الفكرة الدينية في توجيه التربية و تحويل إنسان الغريز إلى إنسان الحضارة «و تخضع الفكرة الدينية الغرائز الإنسانية عبر تكييفها عبر آلية الكبت حيث تقوم هذه الأخيرة بتنظيم الغرائز الفطرية و توجيهها بما يتوافق مع الدين دون ان يعني ذلك القضاء على الغرائز

---

1 بوسنات رقية، (بدون ت) التربية في فكر مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

2 _ عبود عبد الغني، التربية الاقتصادية في الإسلام، القاهرة، مكتبة

»[1]، ثم إن مشكلة الإنسان المسلم حاليا تجد حلولها في احياءالطاقة الروحية و العودة إلى المصدر الأول و هو الفكرة الدينية «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» كما يقول الامام مالك بن أنس.

- **فعالية الحياة الاجتماعية**

من الملاحظات التي أشار إليها مالك بن نبي في مؤلفاته هو تلك الأفكار الانعزالية و الانطوائية التي يعاني منها الافراد في العالم إذ يعتبر أن بناء الحضارة يتم في إطار اجتماعي متنوع الأدوار و هو دور منوط بالأسرة «فالوسط العائلي المسلم لا يسلم للمج كائنا إجتماعيا صالحا لأن يؤدي فيه دور فعالا لأنه اتصاله بالأخرين متعة و سواء في ذلك أقرانه و شركاؤه الذين يقاسمونه أعماله و مصيره»[2].

و بهذا على الانسان أن يتعلم فن الحياة مع الآخرين فالانعزالية لها دور خطير على الجو الاجتماعي و الحضاري العام، فحركة المجتمع و رغبته في دخول التاريخ شبكة العلاقات اجتماعية و هو هدف تربوي يبدا من الفرد لينتهي به إلى الثقة بين عناصر المجتمع فتتحرك الأفكار و تتحرك الأشياء كلها في اتجاه صناعة منتوج حضاري و العمران و البناء و مختلف مناشط الحياة العمرانية ، عكس ما ستحول إليه المجتمعات حين تكون شبكة العلاقات ضعيفة ، و شرطها الأول رسوخ المبدأ الاخلاقي الذي تمليه التربية و في هذا السياق يقول مالك بن نبي «حينما تكون شبكة العلاقات الاجتماعية فاسدة فإنه يستحيل عمل جماعي مشترك لأن الصراع حينها لايكون من أجل البناء بل من أجل الاقناع بأدلة و براهين لا من أجل إيجاد حل لمشكلات»[3].

---

1 _ محمد حسين يوسف، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، (ظ1)، الجزائر دار الخلدونية.

2 _ بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين (ط1) بيروت دار الفكر.

3 _ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع (دمشق دار الفكر 1986 م) ص 165.

المبحث الثاني: علاقة التربية ببناء الحضارات عند مالك بن نبي

1. الدور التربوي التفاعلي بين الانسان والمجتمع وبناء الحضارة

إن المجتمعات التي تسعى للحاق بالركب الحضاري ليس عليه إلا التفكير في الأسس الضرورية التي يجب توفرها (الانسان والمجتمع) وليس في منتجات الحضارة ومظاهرها الخارجية.

- **الانسان**

يعتبر الانسان محور الفاعلية الحضارية، فدوره في الحياة الدنيوية لا يقتصر على الشرب و الاكل و النسل و التملك، من أجل ضمان استمرار النوع، بل يتعداه إلى مراقبة جميع أعماله و توجيهها نحو غايات أخلاقية تتلاءم و طبيعته الإنسانية[1] وهكذا يعمل الانسان بداع من طبيعته من أجل الحفاظ على النوع، لكن التكليف هو الذي ينظم العلاقة الداخلية لهذه السلطة المزدوجة، تنظيما يكون معه عمل الغرائز و اندماجها مطابقا لرسالته الاجتماعية[2].

و بما أن التربية هي التجسيد العملي لثقافة المجتمع، فهي مصدر لإلهام التربية بحكم أنها هي التي تضفي دلالة تاريخية على الفعل التربوي ذاته[3].

ومن هنا يرى مالك بن نبي أن مفتاح الإقلاع الحضاري، هو الخروج من عالم الأشياء والأشخاص، والدخول إلى الأفكار والفعالية التي ينتجها الانسان، ويستثمرها في تغيير واقعة الذي يعاني من الشيئية و التكديس و هذا مصداقا للآية الكريمة: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (سورة الرعد: الآية 11) ، وحتى يتحقق التغيير الحضاري في أي مجتمع ، يجب ان يتم داخل النفوس؛ وبذلك يتوفر الشرط الجوهري في ارتفاع المسلم إلى

---

1 _مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر ص70.

2 _المصدر نفسه، ص71.

3 _ علي أسعد وطفة، أصول التربية (إضاءات نقدية معاصرة) لجنة التعريف والتأليف والنشر، ص90.

مستوى الحضارة وبالتالي يستطيع إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين، لكن لن يتم ذلك إلا عندما تتوفر ثلاثة شروط وهي:

- **ان يعرف المسلم المعاصر نفسه:** وألا يغالط نفسه في معرفة نفسه ، مثلا ان يعرف ان مشكلته الحقيقية في القابلية للاستعمار قبل ان تكون في الاستعمار.
- **ان يعرف الآخرين:** من غير كبرياء او تعال حتى ينجح في تبليغ رسالة الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة[1].
- **ان يعرّف الآخرين بنفسه:** بعد أن يكون قد حقق الصورة اللائقة المرضية المتسمة بالأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية ، وهذا بعد التغلب على رواسب التخلف ومظاهر التأخر، فإذا استطاع المسلم المعاصر ان يحقق هذه الشروط الثلاثة ، فإنه يستطيع ان يبلغ مستوى الحضارة[2] .

يتحدث مالك بن نبي في كتابه " (la réalité et le devenir) الواقع والمصير" عن أهمية التربية المبكرة ، فالطفل يملك كيانا نفسيا منذ لحظة ولادته حيث يقوم من غير وعي أو إرادة منه بتمثل وتصور الأشياء والعناصر المحيطة به والتي نسميها " العناصر الثقافية[3].

وهذا على اساس نكتشف "أن الثقافة تتشكل من الالوان والالحان والايقاعات والأصوات ، الروائح ، الصمت، الأضواء والزوايا المظلمة (...)، الثقافة هي كل هذا الجو الذي يتحرك فيه الإنسان ، يتكور ويلاحظ وجوده في هذا الإطار العام[4].

مثلا من الناحية النفسية، فالألوان والأصوات والسلوكيات والأفكار، لا تعني شيئا بالنسبة إليه ولكنها تحمل رسائل تحفظ في اللاشعور، ولتوضيح ذلك أعطى مثالا عن الأم التي تبالغ

---

1 _مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، دمشق ، ص43.

2 _ المصدر نفسه؛ ص 44.

3 _ malek bennabi: la réalité et le devenir , dar alem el afkar ,édition en algérie ,2004, p55.

4 _ المرجع نفسه؛ ص 56.

في قلقها حيث تستجيب لبكاء رضيعها عند الجوع فترضعه كلما بكى فيدرك عندئذ انه يكفي ان يصرخ حتى تلبى حاجياته، على خلاف الأم التي عودت وليدها الرضاعة المنتظمة بحسب الأوقات التي حددها الطبيب فيتعود على تلك المواعيد ولا يلجأ إلى الصراخ[1] .

ومعنى ذلك أن التربية تساعد الفكر على التأقلم والتكيف والتفاعل مع بيته، وهذا يتطلب مساعدته على تنمية جسمه وعقله وتربية ميوله وتهذيب خلقه وإكسابه عادات حسنة ومهارات نافعة. ولهذا لا يمكن الحديث عن فعالية الإنسان في غياب التربية الإجتماعية والتي بدورها ستساهم في بناء حضارة ، لهذا من الضروري استنباط المحتوى التربوي الكفيل بصناعة الإنسان الفعال ، والذي لا يكتمل إلا بنسج الصلات أو الروابط الاجتماعية.

تقوم التربية الاجتماعية حسب مالك بن نبي على قواعد عامة ، تستخرج من علم التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وميزة هذه القواعد انها نظرية وواقعية في الوقت ذاته[2].

والتربية الاجتماعي بالنسبة إليه هي الثقافة ، إذ من خلالها يتم تأهيل الفرد لتجسيد معنى التحضر والدليل على ذلك قوله : " إذ ليس الهدف منها – التربية الإجتماعية– أن تعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة، ولكن الهدف أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه ، أعني : أن نعلمه كيف يتحضر"[3].

ومعنى ذلك أن التربية لا تنتهي بانتهاء تعليم الفرد الرسمي في المدرسة أو الجامعة، بل تدوم دوام حياة وتستمر بالتحول والتغير الدائم والسريع. وهنا يتجسد الجانب العملي في التربية حسب مالك بن نبي.

ولهذا يعرّف الاجتماعية فيقول : " هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان ، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه ، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن

---

1 _ المرجع نفسه؛ ص 56.

2 _مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، مصدر سابق، ص99.

3 _المصدر نفسه، ص99.

دائما، وكيف يكوّن معهم شبكة من العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ" [1].

وتزيد فعالية الأفكار كلما كانت شبكة العلاقات الإجتماعية قوية ومتينة. ويظهر هذا في قوله: " فالأصل في فعالية الأفكار او اضمحلالها، إنما هو درجة الكثافة التي تكون عليها شبكة العلاقات الإجتماعية. ولهذا لا يمكن ان نتصور عملا متجانسا من الأشخاص والأفكار والأشياء دون هذه العلاقات الضرورية ، وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل فعالا ومؤثرا" [2].

نستنتج مما سبق ذكره أنه لا يمكن الحديث عن مجتمع متحضر في غياب التربية الإجتماعية التي توجه الفرد نحو تحقيق غايات تربوية في إطار المرجعية القيمية أو الفلسفة التربوية للمجتمع وعليه فشبكة العلاقات الإجتماعية تشكل القاعدة التي تمكن مصادر الفعل الانساني من العمل والتأثير في صناعة التاريخ وهي: عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الأشياء والتي لا تعمل منفصل عن بعضها بل يحركها ويفعل عملها عالم رابع هو شبكة العلاقات الاجتماعية

2. الاستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي الحضاري

أثناء الحديث عن العلاقة التي قد تجمع كلا من التربية والحضارة تعني في نفس السياق الحديث عن طبيعة العلاقة بين التربية والتغيير، بإعتبار أن التغيير والتجديد هو الذي يرمي إلى إنشاء وصناعة حضارة، ومالك بن نبي قد نجده جعل من الإنسان بحجر أساسي أو مادة أساسية في البناء والتعمى، حيث أنه المخلوق المكرم من عند الله تعالى الذي ميزه بهبة العقل والحكمة في **قوله تعالى: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ »**[3]، ويقول

1 _مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، ص85.

2 _ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص38.

3 _ سورة الاسراء، الآية 70.

مالك بن نبي: « نجده قد جعل من البرنامج التربوي ذات بعد كبير في النهوض الحضاري، برنامج تربوي يهدف لتغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معينة حتى يتمكن من أداء وظيفته الإجتماعية ويحقق البناء في المجتمع المتحضر ».[1] وعليه فإن التربية تستوجب تواجد عنصر الإنسان ويستحيل غياب هذا الأخير عن التربية، وقد جعل مالك بن نبي الإنسان المحور أو الركيزة الصلبة التي تبنى عليها عملية التغيير الحضاري، حيث قال في هذا السياق: « إن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الإجتماعية لهذه المعادلة والتي هي: **إنسان+ تراب + وقت = حضارة** لأن التراب والوقت لا يقومان إذا إقتصرت عليهما فحسب بأي تحويل إجتماعي ».[2]

وهذا يوضح أكثر ذلك البعد التربوي للتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي، فالتربية والتغيير عنده يشتركان ويتداخلان في نفس الموضوع ونفس الهدف الذي هو تربية الإنسان وتحقيق التغيير – تربية الإنسان بما يحقق التغيير».[3]

ويمكن إستدراج الأمر عند مالك بن نبي في ربط التربية بالتغيير وبإعتبارهما عمليتان إلزاميتان وكل واحدة منهما تتطلب وتستوجب الأخرى، حيث قال في ذلك مالك بن نبي: « أينما وجد التغيير وجدت التربية، وأينما وجدت التربية وجدت التغيير ».[4]

ويمكن التصريح بأن العلاقة التي قد تجمع بين التربية والتغيير هي علاقة عضوية تكاملية تلازمية، وبهذه الصلة أو العلاقة الوطيدة بينهما يمكن وضع مصطلح بالتربية التغييرية أو التربية التحضرية، وذلك لإشتراكهما في العمل نفسه أو الغاية نفسها، فهما يستندان على بعضهما البعض، وعندما نلفظ بمصطلح التغيير يعني ذلك التغيير أو التعديل في السلوك ويكون هذا التغيير نتيجة الفعل الخارجي الذي يكون مقصود في العملية التربوية « نجد أن

---

1 – جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص **38**.

2 – مالك بن نبي، مصدر سابق، ص **53**.

3 – محمد بغداد باي، تربية إنسان ما بعد الحضارة، مرجع سابق، ص **164**.

4 – محمد بغداد باي، المرجع نفسه، ص **164**.

الأثر المنتظر الذي هو التغيير يكون نتيجة الفعل الخارجي المقصود الممارس على الموضوع والذي هو التربية ».[1]

وعليه يمكن إيضاح القول أكثر: « التربية قد تتخذ من التغيير موضوعا وهدفا ويتخذ التغيير من التربية وسيلة له ومنهجا ».[2]

ويمكن أن نقول عن ذلك بأن « التغيير يوضع كهدف وموضوع للتربية وهذا ما يبدو لنا جد بارزا وواضحا في فكر مالك بن نبي التربوي وذلك يجعل الإنسان هو محور دراسته وكعنصر أساسي في البناء والتجديد، وذلك من خلال الإعتناء به وبمختلف أبعاده سواء كانت نفسية أو جمالية أو أخلاقية أو عملية....إلخ، ولكن يكون ذلك بممارسة تأثير الفعل عليها بما يحقق التغيير المرغوب منه الذي هو هدف التربية المنشود ».[3]

وتبرز التربية كوسيلة وكمنهاج للتغيير من خلال الممارسة التربوية التي تتطلب إنتقاءالأهداف وترتيبها[4]، أي إختيار أفضل الإستراتيجيات و التخطيط في ظل وجود التربية كوسيلة و كمنهاج للتغيير.

ونجد مالك بن نبي ينظر للتربية بأنها تلك الوسيلة أو الأداة الجد فعالة والتي لها دور كبير في السمو بالانسان وتغييره وذلك بتحمله جميع الادوار التي قد تساعده في بناء علاقاته مع أفراد مجتمعه ويبني بذلك شبكة علاقات إجتماعية مشتركة حيث يقول مالك بن نبي: « وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم بمجموعة القوى التي تعتبر شرائط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ ».[5]

---

1 – المرجع نفسه، ص 165.

2 – المرجع نفسه، ص 165.

3 – المرجع نفسه ص165.

4 – محمد بغدادي، المرجع نفسه ،165.

5 – مالك بن نبي ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 100.

يري مالك بن نبي بأن التربية تساعد في صياغة واقع اجتماعي وثقافي في الوقت نفسه فالتربية تعمل علي كشف جميع الطاقات أو المواهب المخزنة والتخلص من جميع أشكال الركود أو التخلف الاجتماعي بمعني أن التربية تعمل علي تحويل حالة المجتمع وتغييره من وضعه الساكن إلي وضع حركي متقدم ومزدهر، ونجد مالك بن بن نبي يستند في ذلك على بعدين أساسيين في عملية التغيير والتجديد (معرفة معوقات للتغيير ومن ثم تصفيتها وإزالتها، وهو ما يسميه مالك بن نبي بعملية التجديد السلبي أي انه تجديد يتم بطريقة سلبية تحدث القطعية مع رواسب وموروثات الماضي.

معرفة عوامل التغيير ومن ثم العمل على ترسيخها وهو ما يسميه مالك بن نبي بالتجديدالإيجابي الذي يقوم بوظيفة مد وتطعيم الثقافة بأفكار جديدة بناءة تصلها بالمستقبل وبالحياةالكريمة.[1]

3. الأبعاد التربوية لإعادة البناء الحضاري

إن هذه العوامل يراها مالك بن نبي كفيلة بإعادة البناء الإجتماعي وتكون موجهة ومتصلة ولها علاقة بالمجتمعات الإسلامية بإعتبار أن الإنسان هو المادة الأساسية لعملية التغيير والتجديد. وقد جعل مالك بن نبي من هذه العوامل مبدأ أو نقطة التغيير ومن بين هذه العوامل نذكر أهمها:

- **تربية الإرادة**

إن الإنسان المسلم في تصور مالك بن نبي في أمس الحاجة إلى هذه التربية " تربية الإرادة "، حيث أن هذه الأخيرة تستطيع أن تجعله أكثر جدية وفاعلية وأكثر إطلاعا على واقعه الإجتماعي، حيث يصبح قادرا على مواجهة أنماط التخلف بمختلف أشكاله ويصبح

---

1 – دهيمي زينب، فريد بوبيش ،الإستارتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة دراسات تقنية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد **11**، ديسمبر ،**2013**، ص**139**.

بالتالي أكثر حيوية ونشاطا ويتجه نحو بوادر التجديد والتغيير، وتصبح له القدرة على مواجهة الصعوبات مهما اختلفت وتعددت، وهذا ما يصنع بدايات التحضر ورسم المعالم الكبرى للتجديد والتغيير « إن من أولويات التغيير المنشود عند مالك بن نبي الإنسان المسلم تعويده على العمل الدؤوب والمتواصل، والتعامل بطريقة صحيحة مع حيثيات واقعه في ظل تخطيط مسبق براعي حوافز العمل وطرقه، ووسائله وغاياته، والمدرك لقيمته المادية والمعنوية معتمدا في ذلك مبدأ التدرج الذي يتولد عنه إكتساب الخبرة ومبرزا في الوقت مكانه كل من القلب والعقل واليد في كل نشاط ذي مغزى ».[1]

وعليه يمكن أن نقول يمكن أن تساهم التربية دورها في الزيادة من نشاط وحيوية القد رات العضوية للإنسان، بحيث لا يمكن للإنسان أن يمارس أي نشاط أو يسمو بالمعالم الحضارية في ظل غياب هذه العوامل أو العناصر، بإعتبارها العوامل التي تحرك كيانه.

- **غرس فكرة الواجب قبل الحق**

نجد مالك بن نبي يعطي للفكرة الحق و الواجب المرتبة الأولى مقابل فكرة الحق، أي يجب أداء الواجب وتحقيق المسؤولية الإجتماعية قبل المطالبة بالحقوق الفردية، وهذا الجانب يجب توفره في الإطار والعمل التربوي من أجل تحقيق التغيير الإجتماعي، فالمطالبة بتحقيق الواجبات وتقدمها على الحقوق يؤول على أن المجتمع يسير في طريق البناء والنمو والتقدم الحضاري حيث يقول مالك بن نبي: «المجتمع الذي يرتفع وينمو فإن ذلك يعني أن لديه رصيدا من الواجبات فائضا على الحقوق » [2].

- **القيمة الإجتماعية للوقت والتراب**

إن عنصر الوقت والتراب يعدان من أهم العناصر في البناء الحضاري لدى فكر مالك بن نبي فوجدهما أمرا وشرطا مستلزما وضروريا، ومن أجل إحداث عملية التغيير والتجديد

---

1 – دهيمي زينب، فريد بوبيش، مرجع سابق، ص **139**.

2 _ المرجع نفسه، ص140.

الإجتماعي ولا تظهر قيمة كلاهما إلا من خلال الحيوية الفعالية للإنسان التي يبادر بها عنصر الإنسان في وسط مجتمعه حيث أنه إذا كان الإنسان وعمله غاية وكان للتراب والوقت أهمية وقيمة بالغة والعكس صحيح، أي أن الإنسان هو الذي رسم المعالم العليا لقيمة التراب والوقت بإعتباره العنصر المكرم في الأرض و الذي تقوم وترتكز عليه عملية البناء والتعمير: « فكر نشاط إجرائي منظم يقوم به الإنسان واقع في جانبه المعنوي التقديري بالضرورة في إطار الزمن الذي يحدد بدايته ونهايته، ومتصل في جانبه المادي و الموضوعي لا محالة بالتراب الذي يتعامل معه »[1].

و إن القيمة التي يجب إسترجاعها للتراب والوقت عند مالك بن نبي تكون عن طريق التربية حيث أن التربية يكون دورها غرس المبادئ و العبر الأخلاقية في نفسية وذات الفرد وذلك يكون أخذ بعين الإعتبار أهمية العنصرين والدور الكبير لهما، فقيمة التراب نجدها في إمتلاك تلك المساحات الشاسعة وماتنتجه تلك المساحات من إنتاج، فالتراب له قيمة وأهمية إجتماعية حيث يساهم في التقدم والبناء الحضاري والنهضوي، وتكمن المكانة الجوهرية للزمن عند مالك بن نبي في قوله: « وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا »[2].

ويجب على التربية أن تأخذ بعين الإعتبار قيمة الفذة للتراب والوقت وجعل الفرد والمجتمع أكثر وعيا لهذه القيمة والمكانة الكبيرة لهما في السمو والعلو بالحضارة والتاريخ يخضعان إلى هذان بشرطين وعليهما تبني الحياة والعكس صحيح.

- **تصفية الثقافة من ذهان السهولة والإستحالة**

---

1 – المرجع نفسه، ص **141**.

2 – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص **146**.

يرى مالك بن نبي بأن من بين المعوقات وشلل التغيير الإجتماعي الذي يطرأ على الإنسان المسلم وهو عبارة عن شلل فكري يتمثل في صورتين ذهان السهولة وذهان الإستحالة، ويرى مالك بن نبي أن الذهان في الجزائر يقوم على ثلاث قواعد:

* لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون.
* لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا فقراء.
* لسنا بقادرين على تصور الأمر لأن الإستعمار في بلادنا[1].

أ. **ذهان السهولة**

وهو يتمثل في صورة النظر إلى الأشياء بشكل أسهل ومبسط أي لا تحتاج إلى تعب أوعياء ولا تتطلب أي جهد، ومثال ذلك القضية الفلسطينية حيث كانوا العرب ينظرون للقضية الفلسطينية نظرة سهولة وبساطة وأن اليهود لن يمكث إلا شهور ويرحل من الأرض الفلسطينية، ولكن لسوء الحظ نحن نشاهد وجودهم لحد الساعة وهذا مايوحي ويدل على الإستهانة والإستهزاء بالشيء: « ونجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد إعتمد في الدعوة فضل التربية الطويلة، ولم يعتمد على المعجزة السهلة »[2].

ب. **ذهان الإستحالة**

وهو عكس السهولة أي يتمثل في صورة النظر إلى الأشياء على أنها مستحيلة ويعجز عن تحقيقها بمعنى أن المسلم أن الأمور و الأشياء مستحيلة ويعجز كل العجز عن تحقيقها وهي في حقيقة الأمر سهلة غير مستحيلة وقد نجده يستصعب الأمور ويستحيل تحقيقها من أجل عدم إتعاب نفسه في البحث وإيجاد الحلول، ومثال عن ذلك أن الشعوب المسلمة كانت

1 – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 89.

2 – محمد العبده، مرجع سابق، ص 88.

ترى من الأمر المستحيل والمستصعب إخراج العدو المستعمر من أرضهم، أي صعوبة إسترجاع ممتلكاتهم وثرواتهم المنهوبة من طرف العدو[1].

ومنه واجب التربية أن تراعي هذين المرضين وتصفية ثقافة المجتمع كمثل هذه الأمراض لأن هذا يؤدي إلى شلل فكري، وهذا الأخير ينجم وينجر عنه تراجع في حركة النمو وتطوير المجتمع وهدم ثقافة المجتمع، وبالتالي هدم كل ما هو بناء وتغيير وتجديد حضاري.

✓ **التخلص من التبعية والقابلية لها**

جعل مالك بن نبي التبعية والقابلية لها من الأنماط والأشكال التي قد تعرقل وتشلل حركة سيرة المجتمع أثناء سيره في طريق التعمير والتجديد وإستمرار القابلية لها، تؤدي إلى ظهور مخاوف أكثر وأثار سلبية تعود بالضرر على المجتمع.

✓ **تطبيق المسلم على قيم الديمقارطية**

تعد الديمقراطية من أنماط الإزدهار و الرفاهية ولها دورها الفعال والإيجابي الذي تساهم به في حياة الفرد والمجتمع، حيث أنها تساهم في جعل الإنسان حر وتربط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتتمثل حرية الإنسان وتكتمل إلا في ظل حرية ونشاط الآخرين ويقول مالك بن نبي: « و قد جاءت كل الديانات وأعني هنا بجميع المفهوميات الدينية – لترويض الطاقة الحيوية للإنسان وجعلها مخصصة للحضارة، وبناءا على ذلك يضع الدين والحرية الفردية بين حدود عمل المجتمع، والمقتضيات الخاصة بهذا المجتمع »[2]

ويجب أن تساهم التربية في غرس مبدأ القيم الديمقراطية في ذات الإنسان المسلم، لأنه ذلك يخلصه من جميع أنماط التبعية والقابلية للإستعمار وهذا ما يزيد من حجز حريته أكثر بواسطة الديمقراطية وقيمها يتمتع بالحرية التامة ويتخلص من الاثار السلبية، فالديمقراطية تعمل على حفظ حرية الإنسان والمحافظة على كرامته بإعتباره الكائن المتميز على جميع

---

1 – المرجع نفسه، ص ص **88**، **89**.

2 – مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص **110**.

الكائنات الحية وترفع قيمته وتضفي عليه نوع من القداسة، وإذا أردنا أن نعرف شيئا هو الديمقراطية الإسلامية، فإن هذا الشيء يعني أولا " تطعيم" الإنسان وتحصينه ضد النزاعات المنافية للشعور الديمقراطي وتصفية هذه النزاعات في نفسه[1].

فالديمقراطية ومبادئها تعد من القيم الأخلاقية الفاضلة التي بها يرتقي المجتمع، وينمو ولهذا يجب جعلها من إلزاميات الحياة أو من الإلزاميات التي تحفظ بقاء الإنسان ولهذا من واجب التربية أن تجعل القيم الديمقراطية ركائز أساسية في بناء منظوماتها سواء كانت فكرية أو عملية.

ويكمن دور التربية في جعل الإنسان يتمتع بالقيمة التقديرية لنفسه ولغيره لأن هذه الصفات التكريمية خصه الله تعالى بها قبل كل شيء، فهي تعد حق من حقوقه وتتعدد كل الحقوق السياسية والإجتماعية، أي قد كانت الغاية أو الهدف المرجو والمنتظر من التربية هنا غرس قيم الديمقراطية في روح الفرد، وذلك يكون عن طريق الصفة التكريمية لنفسه وبالتالي تصبح كسلوك نابع منه، وهذا ما يؤدي ويساهم حسب مالك بن نبي في زيادة و تطوير العلاقات الإجتماعية وبالتالي تشكل لدينا شبكة من العلاقات التي تعمل على رسم طريق التغيير والتجديد الإجتماعي.

✓ **ربط العلم والتعليم بالحاجات الإجتماعية**

لحد الساعة لا يزال العلم و برامج التعليم مرتبطة وفي إحتكاك كبير مع الحاجات الإجتماعية كالتقاليد وغيرها، وهذا ما يعكس الواقع التعليمي وبالتالي لا تجنى ثمار العلم والتعليم إلا ما هو غير نافع وأفراد غير مثقفين وهذا ما يؤدي إلى هدم المجتمع بأسره « إن العلم السائد في العالم العربي والإسلامي لا يلامس الجراح ولا يقوى على تحقيق المعاناة وحل

1 – المرجع نفسه، ص **148**.

المشكلات وبالشكل المناسب، وهذا الأمر مرده إلى الفشل في جعل العمل موجها من الفكر بواسطة التربية وبناء ثقافيا جديدا »[1]

يجب أن نسعى إلى العلم والمعرفة من أجل تنمية العقول بمزيد أكثر من العلم والثقافة لكي نسمو بالمجتمع إلى حركة الإزدهار والتطور، أي أن العلم يعد وظيفة من وظائف البناء والإنجاز الحضاري حيث يقول عن ذلك الغزالي: « إن العلم تعبير شامل لكل مجالات المعرفة وتنمية القدرات العقلية والتقنية والحرفية والوظيفية وتنمية الملكات الروحية والفنية والجمالية »[2]، ولهذا يجب أن يكون هدفنا من العلم والمعرفة تنوير ذلك الجهد الإنساني من أجل تحقيق كفاءات تعود بإيجابيات والنفع على مجتمعنا وبذلك نبتعد عن كل ما هو تكديس معرفي.

إن العلم والتعليم يعدان من عوامل أو من الشروط التربوية وهذه الشروط غايتها أو عملهاكعناصر بناءة في عملية التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي: « إن من شأن هذه العوامل أن تتجه في جملتها إلى تنمية الوعي وشحد الإرادة وإيقاظ الضمير وتحريك العضلات والشروط الضرورية التي يراها بن نبي كفيلة لخلق شروط الفعالية لدى إنسان ما بعد الموحدين هذه الشروط التي تمكنه من التخلص من موروثات الماضي الغير نافعة وفي الوقت نفسه إيجاد ظروف مادية ومعنوية جديدة »[3].

ومنه يمكن أن ننظر إلى الإنسان المسلم في تصور مالك بن نبي أنه بتوفر هذه الشروط واستكمالها يكون قد وصل وتمكن من العلو والصعود إلى قمم التجديد وصنع تاريخ حضاري، قد يكون سر نجاح ذلك أهداف تربوية ساهمت في عملية تغيير حضاري إجتماعي وغيرت من واقع المجتمع وذلك بتلائم وتكيف العلم والتعليم وهذا ما يزيد من قوة وأوج المجتمع والمحافظة على قوته الداخلية أو الخارجية.

---

1 – دهيمي زينب، فريد بوبيش، مرجع سابق، ص **144**.

2 – د الكبار عبد العزيز، صغير حياة، التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة منيرفا، مجلد **04**، العدد **1**، قسم العلوم الإجتماعية، ديسمبر **2017**، جامعة تلمسان، الج ازئر، ص **209**.

3 – ديهمي زينب، فريد بونيش، مرجع سابق، ص **144**.

خلاصة

نستنتج من خلال ما ذكرنا سابقا أن مفهوم التربية عند مالك بن نبي لم يكن واشحا بشكل إنفرادي فقد ربط تصوره للتربية بالجانب الثقافي حين اعتبر أنها عملية تثقيفية و عامل أساسي في البناء والتغيير ومن خلال تنمية سلوك الفرد تربويا تتكون شبكة العلاقات الإجتماعية التي بدروها ستمضي بالأمة لإحداث تغيير إجتماعي هدفه التحضر والرقي، ومن خلال الدور التفاعلي بين الإنسان والمجتمع تنتج العلاقة متداخلة بين التربية والحضارة في إحداث التغيير والنهوض بالإنسان بمعنى إذا توفرت مبادئ تربوية قيمية في الإنسان ستتحقق الحضارة آليا، إذ لا يمكن تصور احدهما خارج إطار الآخر كعلاقة الشرط بالمشروط.

الفصل الثالث: إمكانية تجسيد المشروع التربوي والحضاري لمالك بن نبي

تمهيد

من خلال عرضنا لأسس المشروع الحضاري للفيلسوف إضافة لتحديد علاقة التربية به لكونها تتعلق بالإنسان كأهم عنصر لهذا المشروع قد ارتأينا محاولة إلقاء الضوء على تطبيق هذا الفكر واقعيا إن على مستوى المدرسة الجزائرية والعربية المعاصرة أو حتى تجسيده في بعض الدول مثل ماليزيا كنموذج رائد وناجح بكل المستويات إضافة إلى الإشارة لصدى أفكاره بين القبول والرفض.

المبحث الأول: التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي (المدرسة العربية والجزائرية)

بما أن تحديات العولمة جعلت المجتمعات تحاول التكيف والمساهمة في إنتاج الثقافة الإنسانية التي فرضتها رهانات الحياة ولأن لكل مجتمع خصوصيته ومقوماته التي تعبر عن موروثه فقد عمل مالك بن نبي على إنشاء مشروع تربوي إنساني متكامل يجمع بين الأصالة والمعاصرة فيجعل ماهو عالميا متوقف على ماهو خصوصي دون الانغلاق على الذات بل نادى بضرورة الانفتاح المشروط، وقد سبق أقرانه في هذه الدعوة فكيف أسس مالك بن نبي للمنهج التربوي المناسب للمدرسة العربية عموما والجزائري بالخصوص؟

1. المصدر الإسلامي للمعرفة وخصوصيته عند مالك بن نبي

لقد أصبح مفهوم (أسلمة العلوم، أو أسلمة المعرفة، النظام المعرفي الإسلامي ...) من المفاهيم السائدة والمتداولة في الأوساط الإسلامية، وقد عرف الدكتور عماد الدين خليل مفهوم أسلمة المعرفة بكونها "ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة"، أما الدكتور طه جابر العلواني فيقول "أسلمة المعرفة تمثيل الجانب الذي يمكن أن نطلق عليه الجانب النظري من الإسلام، أو الجانب المعرفي الذي يقابل الجانب النظري في سواء" [1] .

إن فكر مالك بن نبي خارج التصنيف المعرفي المألوف " النظرية العقلية والنظرية الحسية والنظرية النقدية " فلا هو مثالي ولا مادي ولا عقلي ولا حسي حيث فهو إذن(عالم مسلم إنساني) ومن هذا المنطلق وبعد الاعتماد على المناهج الابستيمولوجية خاصة بياجيه في حديثه عن نمو الطفل حسب الدراسات السيكولوجية الحديثة فقد عمم مالك بن نبي ذلك على مراحل نمو البشرية إذ " نسب بن نبي في مرحلته الأولى – الحس حركية – وعبر عن ذلك بعالم الأشياء ثم نسب إليه في مرحلة ثانية نوعا من التجرد عن الحس وبداية الارتباط

[1] _ بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد والمجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، وحدة بحث " تنمية الموارد البشرية " جامعة محمد لمين دباغين سطيف، ص11.

بالعقل – مرحلة العمليات المادية– وهو ما عبر عنه بعالم الأشخاص ، وتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة مرحلة النضج – مرحلة العمليات المجردة عن بياجيه – وفيها يرتبط الجفل بعالم الأفكار عن مالك بن نبي ، حيث يبدأ الطفل في تكوين روابط شخصية مع مفاهيم تجريدية " [1].

إن الرابط العلائقي بين العوالم الثلاث عالم الأشخاص والأفكار والأشياء يكمن في شبكة العلاقات الوثيقة والتي تحركها الثقافة ومن هنا يمكن أن نسجل النقطة الأولى التي تكشف لنا علاقة ماهو اجتماعي بما هو ثقافي والدور الذي تقوم به الثقافة في توجيه الجماعات الإنسانية ، على أن كل جماعة إنسانية تخضع لثقافة معينة تختلف عن ثقافات المجتمعات الأخرى ، ومالك بن نبي يعتبر جميع العلاقات السائدة بين الناس علاقات ثقافية أي أنها خاضعة لأصول ثقافة معينة ولخص هذا الأمر كله في أن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد " [2].

والثقافة في عالمنا الإسلامي ترتبط بتفعيل الفكرة الدينية والانطلاق منها والوصول إليها والانفتاح على العالم دون طمس الهوية التراثية والأخلاقية.

2. أفكار مالك بن نبي حول التربية والتعليم في العالم الإسلامي والجزائري

وبما أن النهوض بالمجتمعات يستدعي أولا تكوين الإنسان وإعداده فهو يمثل الإنسان العنصر الأساس في معادلة الحضارة حسب مالك بن نبي، وبالتالي فإن مجال التربية هو مجال حيوي وحساس، لذلك اهتم المفكر الجزائري مالك بن نبي بالتربية والتعليم ومن أهم أفكاره في هذا المجال:

أ. تغيير الإنسان كإستراتيجية تربوية تعليمية

[1] _ محمد بابا عمي، مشكلة المعرفة والخصوصية الإسلامية عند المفكر مالك بن نبي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان ص 13-14 بتصرف.

[2] _صالح بوعزة، المرجع نفسه ص15.

أن المرض الذي يصيب الأمة يكمن سببه الأساسي في شخص الإنسان المسلم وهو ما يستوجب إجراء عملية جراحية تربوية له لتوجيه سلوكه نحو بناء الحضارة، لذلك يجب أن يقوم الإصلاح على إستراتيجية ورؤية تربوية، لا على تكديس القيم الأخلاقية والنظريات التربوية، ويجب أن تقوم هذه الإستراتيجية على ركيزتين أساسيتين هما :

- معرفة معوقات التغيير ومن ثم تصفيتها وإزالتها، وذلك لقطع كل رواسب وموروثات الماضي السلبية وهو ما يعرف في التراث الصوفي بالتخلية.
- معرفة عوامل التغيير ومن ثم العمل على ترسيخها، وبالتالي تطعيم الثقافة بأفكار بناءة جديدة تصلها بالمستقبل وبالحياة الكريمة وهو ما يعرف في التراث الصوفي بالتحلية [1].

ب. **التربية على تقديم الواجب على الحق**

يعتبر مالك بن نبي أن القيام بالواجبات يجب أن يتقدم على المطالبة بالحقوق في كل نهوض، حتى يتكون ذلك الفائض من العمل الإيجابي الذي يُمَكِنُ الحضارة من الإقلاع، وكان منهج الأنبياء والمصلحين عبر التاريخ شحذ الهمم إلى القيام بالواجبات لأجل الحصول على الحقوق.

ولتحقيق ذلك لابد أن يُرَبَي الإنسان منذ صغره على هذا الجانب، ويضرب لنا في هذا السياق مثالا تربويا تطبيقيا عن كيفية تنشئة الطفل على المطالبة بالحقوق، فالرَضيع عندما يبكي للمطالبة بشيء ما ثم نعطيه إياه يربى على البكاء للحصول على ذلك الشيء، وهو ما سيترجم عندما يكبر بالاكتفاء برفع الشعارات للحصول على الحقوق والتباكي ورمي المسؤولية دائما على الغير.

[1] _ شمس الدين عروة، مالك بن نبي وقضية التربية، مقال مرصد ومدونات عمران ص03.

" فالحقوق ليس هدية تعطى ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما متلازمان، والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي."[1].

ج. **ربط التعليم بالحاجات الاجتماعية**

إن الفكر التربوي المراد بناؤه تكون أحد معالمه الرئيسية القيم الدينية، بمعنى صياغة الفكرة الدينية في شكل قيم تربوية تعيد إلى الإنسان المسلم فعاليته الحضارية، «ومن وجه نظر تربوية يشير مالك بن نبي إلى دور الفكرة الدينية في عملية تكيف التربوي لشخصية الإنسان وتنظيمه سلوكه وفقًا لنوعية العلاقة التي تربطه بالمجتمع" [2].

فتحويل القيم الدينية إلى منظومة قيم تربوية يضمن لنا أولًا، تكوين المرجعية القاعدية للشخصية الإسلامية، وثانيًا العمل على الحد من الغرائز والحفاظ على الطاقة الحيوية للمسلم، " ممّا يؤدّي إلى الزيادة من فعالية الفرد المسلم في المجتمع، ويسهم في ترميم شبكة العلاقات الاجتماعية على المستوى الاجتماعي والأخلاقي، فيتمكّن المجتمع من أداء دوره الحضاري في التاريخ." [3].

د. **التربية على استغلال الزمن والتراب**

إن أي نهوض حضاري يستوجب تأهيل الإنسان لتكون علاقته بالعناصر الثلاث (الإنسان، الوقت، التراب) فعالة ومن أجل ذلك يجب تأهيله وتوعيته و" بتحديد فكرة الزمن، يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا، هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة، والنشاط، في تكوين المعاني والأشياء، فالحياة والتاريخ الخاضعين للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهُما، فنحن في حاجة ملحة إلى

[1] _ مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر نفسه، ص105.

[2] _ عمر النقيب، مقومات مشروع بناء الإنسان الحضاري في فكر مالك بن نبي التربوي، الجزائر: الشركة الجزائرية اللبنانية، 2009، ص69.

[3] _ عمر النقيب، المرجع نفسه، ص71.

توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا، ووقتنا الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباءً"[1].

هـ. **غرس المبدأ الجمالي وتكوين الذوق العام للمجتمع**

إن الذوق الجمالي يحدد صنف المجتمع وفلسفته الجمالية حيث تنتشر في كل مجتمع مجموعة من الأفكار والأصوات والأشكال والحركات والروائح منها الجميل ومنها القبيح، وكل هذه المظاهر يتمثلها الإنسان في ذاتيته شعوريا أو لا شعوريا، وهذا الإنطباع يؤثر على عمله وسلوكه سلبا أو إيجابا، " لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، لأن لمنظرها القبيح في النفس خيال أقبح" [2].

[1] _شروط النهضة: مالك بن نبي، ترجمة عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين– دمشق–دار الفكر، 1986.ص139.

[2] _مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص143.

المبحث الثاني: التجربة الماليزية كنموذج

1. جوانب تأثر ماليزيا بالفكر التربوي الحضاري لمالك بن نبي

انطلاقا مما قدمناه حول العلاقة التي تربط التربية بالحضارة في فكر مالك بن نبي تبين التلازم والتداخل بينهما إلى حد التكامل وإحداث تغيير اجتماعي متميز وأبرز مثال يجسد هذا التكامل هو النموذج الماليزي، حيث تأثرت ماليزيا بفكر مالك بن نبي وبمشروعه النهضوي واتخذته قدوة لتحقيق الحداثة، فمن المعروف ان ماليزيا عاشت ويلات ومصائب إجتماعية وإقتصادية وسياسية فوضعت خطة تنموية تجمع بين الحداثة والإسلام " الحكومة الماليزية قامت بوضع عدة خطط تنموية في ضوء تعاليم الإسلام مراعية في ذلك المحافظة على تحقيق التوازن الروحي والإقتصادي والتربوي والاجتماعي والقانوني في جميع النواحي الحضارية "[1].

ما يعني أن رسم معالم التحضر يستدعي أولا التخطيط قبل التنفيذ وهو ماقامت به ماليزيا بالاستعانة بالتعاليم الإسلامية في ضبط العلاقة بين الجانبين الروحي والمادي فكل من الجوانب (الاقتصادية والتربوية والقانونية) مبني على أساس ديني اخلاقي " باعتبار أن الإسلام ليس مجرد شعائر دينية فحسب، وإنما هو دين عملي نزل لينظم حياة المجتمع بطريقة واقعية، وعلى ضوء هذا قامت الحكومة بتبني مبدأ إسلامي حضاري من أجل نشر قيم الإسلام أملا ان يقودهم هذا المبدأ إلى نهضة ورفع الأمة والوطن"[2] .

وقد جعلت من الدين والقيم الدينية حركات إصلاحية وحضارية، فالحضارة الماليزية قد بنت وصنعت مجتمع قوامه الدين والقيم الأخلاقية وذلك برغم إختلاف عقائد الناس[3] .

---

[1] _ عائشة عباس، ابعاد التجربة التنموية في ماليزيا "دراسة تحليلية في الخلفيات، الأسس، الآفاق، ألمانيا ط1، المركز الديمقراطي العربي، ص11.

[2] _ عائشة عباس، المرجع نفسه، ص12.

[3] _ بلال محمد سعيد المصري، تجربة ماليزيا في التنمية الاقتصادية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف سمير مصطفى ابو مد الله، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الازهر، 2016 غزة، ص53.

وقد اتخذت ماليزيا من المعادلة التي بنى مالك بن نبي على اساسها مشروعه النهضوي نقطة إنطلاق لبناء حداثتها وتحقيق تغيير اجتماعي قوامه مبادئ دينية تربوية واقتدت ماليزيا بفكر مالك بن نبي واتخذت من عناصره وشروطها عوامل اساسية وبناءة للنهوض والإنجاز الحضاري، كل إنتاج حضاري = إنسان+ تراب + وقت.

ماليزيا في بداية نهضتها قامت بتربية الإنسان وإعداده أولا على قيم دينية وعقلية وروحية وجسمية وعلى الإيمان بالله تعالى[1]، ثم حررت الأرض من أشكال ومخلفات الإستعمار واتخذت من عامل الزمن وإستغلال الوقت أكبر قائد للمضي إلى درجات التطور حيث " استعادت فعالية الفكرة الإسلامية لتأخذ مكانها بين الأفكار التي تصنع التاريخ وتبني حضارة، لأنه لا يكفي أن تدعو إلى قدسية القيم الاسلامية والبرهنة على صحتها وإنما يجب أن نضفي عليها ما يجعلها تواجه به العصر " [2].

ورغم أن الإسلام كان يعتبر الدين الرسمي للدولة الماليزية حيث يمثل 60 بالمئة من السكان الأصليين وقد دعا إلى حرية المعتقد دون إكراه أو اجبار" فحقق بذلك نوع من الاستقرار والأمن وكذلك احترام وتقبل دين الآخر وهنا تكون ماليزيا قد رجعت إلى الدين الإسلامي في حقيقته الذي يدعو إلى التسامح والتعايش والإخاء " في نهاية 1981 أعلنت الحكومة سياستها في محاكاة القيم الإسلامية على مستوى الإدارات[3].

وقد اتجهت إلى إصلاح الفرد الماليزي وبما أن الإسلام قد أدى إلى إصلاح النفوس في عهدها الأول كما يرى مالك بن نبي بحيث ارتقت به وحققت نهضة وحضارة وهو ما نلمسه جليا في اهتمام مالك بن نبي بالإنسان وبدوره التفاعلي في بناء الحضارة فالتغيير يبدأ به من خلال تعليمه الفعال، وقد " ساعد التعليم على الارتفاع المطرد للعمل وتحسين الدخل، وابتكار

[1] _ بلال محمد سعيد المصري، المرجع نفسه ص 57.

[2] _ عمار طالبي، فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر، جامعة قطر مكتب وطريق العلم 2016 ص102.

[3] _ خديم حكيمة، إشكالية النهضة في الجزائر "دراسة مقارنة لتجربة النهضة بين ماليزيا والجزائر، جامعة الجزائر 3 ماجيستير في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية ص 107.

نماذج جديدة وفتح ذلك المجال أمامها آفاقا واسعة نحو التنمية الاقتصادية الاولى والرفع من معنويات الإنسان الماليزي" [1].

لهذا جعل مالك بن نبي " الصورة الجديدة للحياة المشتركة، تبدأ بفرد واحد، لأنه يمثل نواة المجتمع الوليد، وأكد على ذلك بمخاطبة القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام (بأمة) لقوله تعالى في سورة النمل آية 16 « إن ابراهيم كان أمة » فالمجتمع يتلخص في إنسان واحد"[2].

أما من الجانب الاقتصادي فقد تمكنت ماليزيا من تحقيق نمو سريع جلعها من أوائل الدول النامية إقتصاديا وهذا بفضل جهود الفرد الماليزي الذي استطاع تغيير وضعه بعد تدريبه على قواعد الاسلام والاستفادة منه لأجل تحسين التنمية بحيث " تمكن الاقتصاد الماليزي من إحداث طفرة اقتصادية حقق على إثرها معدل نمو سريع جعله في مقدمة الدول الناجحة اقتصاديا إذ كان لاستثمار العنصر البشري دورا مركزيا في تفعيل هذه الطفرة"[3].

ويحتل العامل البشري في فكر مالك بن نبي بعدا محوريا إذ ركز على الجانب النفسي والتربوي وكذلك على ما يملكه من إمكانيات مادية، فإرادة الإنسان هي اهم عناصر الحضارة لذا " فالحاجة إلى العناية بفكره وثقافته والعناية بتوجيه عمله ليحقق الفعالية القصوى والعناية بماله ليدخل في استثمار اجتماعي منتج " [4]، لهذا فتشييد حضارة ماليزيا المستوحى من فكر مالك بن نبي ركيزته الأساسية هو الدستور أو القانون الأخلاقي والجمالي لأن " التنمية البشرية هي مصدر تطور الدولة والمجتمع، تتجسد من خلال تطوير الجانب الديني ودمج القيم الأخلاقية بالتعليم، إلى جانب تنمية المعارف والمهارات المناسبة "[5].

---

[1] _ خديم حكيمة، المرجع نفسه ص111.

[2] _ مالك بن نبي، الضايا الكبرى، الطبعة الأولى دمشق دار الفكر، ص17.

[3] _ بلحنافي جوهر، فكر مالك بن نبي من التنظير إلى اتطبيق التجربة الماليزية تاريخ النشر 01-05-2022.

[4] _ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 37.

[5] _ محمد كمال حسن، ملامح في تطبيق منهج الاسلام الحضاري تر: عبد العزيز برغوث، دار الثقافة الاسلامية الكويت ط1 2008، ص 147.

فمشروع مالك بن نبي الإصلاحي يبدأ بتغيير ذهنية الفرد وعقدته تجاه مخلفات الإستعمار ولكن لتحقيق الفاعلية في المجتمع الإسلامي يرى بضرورة استئصال مركب قابلية للاستعمار من ذهنية ونفسية الإنسان فمنطلق التغير الأول يكمن في التخلص من الأمراض الإجتماعية وتصفيتها وفي هذا يقول " ليس المهم في بناء الانسان الجديد تبديل نمط أو زي لباسه ونوعية أثاث منزله ومكتبه ... ولكن المهم أن نحدد له الإطار الحضاري في مجال الثقافة والأخلاق والإقتصاد وكافة المجالات وأن نصفي القابلية للإستعمار من عالمه الداخلي حتى تنطلق طاقته" [1].

2. الاهتمامات التربوية لماليزيا وتأثر محمد مهاتير بالمشروع التربوي والحضاري لمالك بن نبي

أ. الأهداف والأولويات والاهتمامات التربوية " لدى ماليزيا "

- إعداد الأفراد عقليا وروحيا وعاطفيا وجسميا قائما على الإيمان بالله وطاعته.
- تزويدهم بالمعارف والمهارات والقدرات ليتحملوا المسؤولية على المساهمة في بناء الوطن والمجتمع.
- ترسيخ الانتماء الديني وتعزيز الاتجاهات الفكرية والثقافية والسلوكية المبنية على قيم الدين، فيما يتعلق بالأعراق والعواطف المختلفة في ماليزيا لها تعليمها الديني الخاص بها وإعداد المواطنين بصورة أكثر دينامية وإنتاجية لمواجهة تحديات القرن القادم في عملية التنمية الوطنية نحو تحقيق وضع صناعي جديد.

ب. تأثر محمد مهاتير بمالك بن نبي

نلحظ حضور فكر مالك بن نبي من خلال متابعة المنهج التنموي لماليزيا حيث تعتبر الأخيرة من بين اعصر الدول الاسلامية التي استطاعت التخلص من مشكلة التبعية الاقتصادية ورواسب الاستعمار بمفهوم مالك بن نبي ورغم تعاملها باللغة الانجليزية غير انها لم تسمح

[1] _ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 155.

بالتحكم فيها اقتصاديا وسياسيا، ومالك بن نبي اعتبر أولى خطوات الحضارة بالنسبة للعالم الإسلام وقد " دعا محمد مهاتير منذ توليه رئاسة الوزراء عام 1981 م إلى "سياسة النظر شرقا" والمقصود بها اعتناق قيم العمل السائدة في اليابان والتي تقوم اساسا على الانضباط الشديد، والإخلاص التام لجهة العمل والحرص على اختيار المدربين المتميزين ليكونوا قدوة لموظفيهم"[1].

وأكد محمد مهاتير بقوله: " ماليزيا الكيان الجامع، الدولة الحاكمة، والعقيدة الدينية والمجتمع المتسامح والحياة الغنية والإنسان الفاعل والإمكانيات الوفيرة، وأشواق النهوض واحداث التاريخ وإرث الماضي، وعنفوان الحاضر وكل آمال المستقبل" [2].

وقد اهتم مهاتير بقضايا العالم الإسلامي وعرف بانشغاله المستمر بمحاولة البحث لاستعادة وحدة الأمة الإسلامية " فقد استلهم فكرة إنشاء اتحاد إسلامي من لِبنات أفكار مالك بن نبي فدعا إلى قمة اسلامية مصغرة تضم كل من ماليزيا واندونسيا (العالم الإسلامي المالاوي) وتركيا" [3].

[1] _ خديم حكيمة، إشكالية النهضة في الجزائر، ص 102.

[2] _ خديم حكيمة، المرجع نفسه، ص 104.

[3] _ محمد كمال حسن، المرجع نفسه، ص151.

المبحث الثالث: مالك بن نبي والطور النقدي

1. فكر مالك بن نبي من منظور مفكري عصره

لقي فكر مالك بن نبي تأويلات مختلفة فمنهم من اعتبره رائد في مجال الفكر الحضاري من خلال جملة التحليلات والحلول التي قدمها من أجل النهوض بالعالم الإسلامي ومنهم من اعتبر أن فكره لا يعد أن يكون مجرد قراءة للوضع الحضاري الذي يواجهه العالم الإسلامي آنذاك ومن ثم فإن الحلول التي قدمها لهذه المشكلات كانت حلولا تاريخية ظرفية لا تعدو أن تتجاوز طبيعة المرحلة التاريخية التي راهنها[1]، لهذا فقد كان تصنيف فكر مالك بن نبي محل اختلاف عند الباحثين المتخصصين من بينهم عبد اللطيف عبادة حيث يفترض أنه ينتمي إلى الحركة السلفية الحديثة التي أسسها في العالم الاسلامي بعد محمد عبد الوهاب و جمال الدين الأفغاني وهو يستند على ذلك في أن " مالك بن نبي تتلمذ على يد أحد أهم حاملي لواء هذه الحركة وهو المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة، الذي اطلع من خلاله على الفكر السلفي الحديث، كما عاصر بن نبي الحركة الاصلاحية وتعاطف معها ومع رائدها عبد الحميد بن باديس بغض النظر على الخلافات الهامشية مع روادها" [2].

أما في نظر الباحث عبد القادر بوعرفة فإن " مالك بن نبي يتميز بنزعة إنسانية عالمية رفعته إلى مصاف الإنسانية من ذلك أنه يستعمل مصطلح l'autre في حديثه عن الغربي الأوروبي، حيث تدل هذه الإزاحة المفهومية على احترام الخصم رغم كونه يمصل الجانب الشرير في حياته وثقافته في كثير من المواقف وخاصة إذا تعلق الأمر بالصراع الفكري وصانعيه" [3] .

---

[1] _ لكحل فيصل استاذ محاضر (أ)جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية، العدد 01، المجلد 01، ص 73.

[2] _ عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي ط1، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر ص 3-4.

[3] _ عبد القادر بوعرفة، الحضارة وفكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، ط1، دار رياض العلوم الجزائر ص 29.

أما الباحث عمر بن عيسى فقد اعتبر أن فكر مالك بن نبي فكر مستقبلي " لأنه أبعد من أن يكون مجرد تفسير ولي زمانه، لقد ايقظ الأفكار لتوظف في رسالة في مستوى المسلمين الأول ويظهر هذا جليا من خلال محاولة مالك بن نبي عصرنة الإسلام بفكر حضاري واعي بمتطلبات الراهن الحضاري، إن الفكرة البنائية تبدو لنا أكثر من أي يوم مضى معاصرة ترسم سبيل خروج العالم كله من أزمته فبن نبي هو أول من استعمل العالمية[1] mondialisme " .

وعلى الرغم من القيمة العلمية والمنهجية التي حضي بها فكر مالك بن نبي ومشروعه التربوي الحضاري عند الكثير من المفكرين إلا ان هناك من اعتبره مجرد تحليل وتشخيص، ولا ترقى أفكاره لأن تكون الفاعل في تغيير أوضاع العالم وتطويره خاصة وأن فكره لقى حصارا دينيا من أطراف دينية عدة، يقول الباحث الطيب برغوث " الثقافة التجزيئية في التعامل مع الوحي والواقع والتراث والمستقبل همشت هذه الأفكار الجنينية الهامة وحرمتها من النمو واستكمال نضجها وإفادة الأمة بها، في وقت هي أشد ما تكون احتياجاتها وبهذا وقع مالك بن نبي فيما وقع لابن خلدون قبله عندما لفه ليل التخلف الحضاري ولم تكن ظروف الأمة لتساعده على النمو والتبلور والنضج والتمثل في واقع الأمة " [2].

ولعل أغلب المواقف النقدية لفكر مالك بن نبي لم تتبع مسارا إيديولوجيا مؤسسا بمنهجية واضحة ليس لأن مشروع مالك بن نبي يخلو من النقد ولكن لأن النقد الذي اتبعه الأغلب من الكتاب والباحثين بل وحتى الذي سعوا منهم إلى بناء مشروع فكري معين كان يعبر في الأخير عن مجرد وجهات نظر خاصة وكمواقف ذاتية لا غير[3].

---

[1] _ benaissa omar، malek ben nabi، dans l' histoire de l'intellect islamique , présentation omar kamel meskawi ,dar al-fikr , syrie ,p 57

[2] _ برغوث الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، ط2 , دار قرطبة للنشر والتوزيع.

[3] _ لكحل فيصل، المرجع نفسه، ص 178.

بالإضافة إلى هذا نجد أن فكر مالك بن نبي تعرض لتجاهل واضح من طرف المفكرين المعاصرين بحجة أن مؤلفه " شروط النهضة" الذي صدر بالفرنسية وكذا مؤلف " الظاهر القرآنية " وفي هذا يقول محمد آركون " نلاحظ منذ القرن التاسع عشر أن المسلمين المتخصصين في العلوم الدقيقة يتدخلوا بسهولة في الدراسات القرآنية ويكتبون عنها كتبا تحظى بنجاح كبير في المكتبات، فمثلا كان المهندس الجزائري مالك بن نبي قد فرض نفسه في النصف أول من القرن العشرين بصفته مفكرا مسلما كبيرا عن طريق إصدار كتاب سطحي جدا يدعى الظاهر اقرآنية وهو كتاب لا يزال يقرأ بشكل واسع ويعلق عليه حتى الآن"[1].

2. ما بعد مالك بن نبي

لطالما تم التظليل على فكر فقيه الحضارة مالك بن نبي: "إن هناك ما يمكن أن نطلق عليه مؤامرة الصمت والتجاهل تجاه فكر مالك بن نبي ونشره في ربوع العالم الإسلامي... وأن النخبة المثقفة في العالم الإسلامي لا تعرف إلا القليل من فكر مالك وإسهاماته الثقافية، فما بالنا بالقاعدة الشبابية التي تجهله كلية" [2].

لكن مع تسعينات القرن العشرين بدأ الاهتمام بمالك بن نبي وفكره يتحسن ويتصاعد نسبيا، مفارقا كليا عن الحقب الثلاث السابقة، الستينات والسبعينات والثمانينات ومتميزا عنها، وتغير الوضع كليا خلال العقدين الآخرين من القرن الحادي والعشرين، فقد شهدنا طفرة كبيرة ظلت متصاعدة على مستوى الكتابات والدراسات والأطروحات المنشورة عن ابن نبي، وحتى على مستوى الأعمال والأنشطة الأخرى مثل الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية، طفرة قلبت صورة التصور السلبي السابق.

بهذه الطفرة دخل ابن نبي في طور فكري جديد، يمكن أن يؤرخ له بوصفه الطور الذهبي لابن نبي وخطابه الفكري، فقد أصبح مقروءا ومتابعا ومستكشفا، ومتفوقا من هذه الجهة

[1] _ محمد أركون، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ط2 , دار الطليعة، بيروت لبنان ص 14-15.

[2] _ سليمان الخطيب، رسالة دكتوراه (فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر ص 13.

على كثيرين علماء ومفكرين سابقتين له ولاحقين، وباتت أفكاره ونظرياته حاضرة في الدرس الجامعي، ومتداولة في الحقل الأكاديمي، ونشطة في البحث الفكري، ولم تعد أفكاره مهجورة أو مهملة، فلا شكوى من هذه الجهة ولا عتاب[1].

نحن وفي هذا الوقت بالتحديد بحاجة لتطبيق ما فهمنا من فكر مالك بن نبي واقعيا إن على مستوى التربية والتعليم أو على مستوى أشمل وهو بناء حضارة الأمة "نريد من الطور النقدي تأكيد الحاجة إلى ابن نبي من جديد، وفق رؤية تنظر إلى الأمام، وتستلهم روح الاجتهاد، ولا نعني من الطور النقدي توقف الحاجة إليه، أو الاستغناء عنه، وجعله من الماضي المنسي والمتروك، فلا خشية من هذه الناحية ولا حرج، فابن نبي الذي اتخذ من مشكلات الحضارة فلسفة له، وجعل منها عنوانا جامعا وناظما لجميع مؤلفاته، مازالت الحاجة إليه تتأكد، وإلى هذا الأفق الحضاري الذي نظر له، وبقي مسكونا به[2]".

[1] _ سليمان الخطيب، المرجع نفسه، ص 25.

[2] _ زكي ميلاد، باحث في الفكر الإسلامي والاسلاميات المعاصرة، ص25.

خلاصة

نستنتج من خلال الوقوف على التجسيد الواقعي الناجح لفكر مالك بن نبي وتأثيره في حضارة ماليزيا أنه حاول انتشال العالم الإسلامي من التخلف إلى الرقي والتحضر، حيث استلهمت التجربة الماليزية مبدأ تفعيل الفكرة الدينية في جميع المجالات سياسية كانت أو اقتصادية وتربوية من نظرية مالك بن نبي الحضارية، لهذا كان واجبا أيضا الوقوف على رؤية نقدية بناءة لفكره خاصة وأنو قوبل بالرفض والتهميش عند البعض من المفكرين وأخيرا أشرت لضرورة تجاوز الدراسة التقليدية التكرارية لفكره فمالك بن نبي ذاته حث على تحفيز العقل على الفاعلية فنحن بحاجة إلى قراءة ثقافية جديدة تلبي حاجيات مجتمعنا ومتطلبات عصرنا من خلال إعادة تفعيل أفكار بن نبي مجاراة لمستجدات العصر والانتقال من منطق الشرح إلى منطق الفاعلية.

خاتمـة

خـــــاتمـة

من خلال تناولي لموضوع علاقة التربية بتجسيد المشروع الحضاري عند مالك بن نبي توصلت إلى النتائج التالية:

اعتمد مالك بن نبي في إنجازه الحضاري على بذرة الفكرة الدينية وجعلها من مرتكزات مشروعه فهي المركب الذي يربط بين العناصر الثلاث للحضارة.

وانطلق مالك من فكرة محورية هي أن أي نهضة مجتمع تتم في نفس الظروف التي شهدت ميلاده، وعلى هذا فإنه إعادة بناء المجتمع المسلم الحديث لا بد أن تنطلق من الفكرة الدينية كأساس لأي تغيير اجتماعي،

وأثناء محاولتي البسيطة للخوض في فكر مالك بن نبي لمست بعدا ضمنيا لفكره التربوي حيث أنه لم يشر بشكل مباشر لموضوع التربية ولم يتطرق لها بوضوح خاصة وأن مفهموها حسبه يتداخل مع مفهوم الثقافة باعتبارها عاكسة للمجتمع والقلب النابض له، في المقابل ركز على محورية الإنسان ودوره التفاعلي في صنع الحضارة وهو لب المنظور التربوي لمالك بن نبي

فالتغيير الذي ينادي به مالك بن نبي في فلسفته هذه يجب أولا أن يلامس الذات والروح الإنسانية لأن الإنسان هو محور العملية التغييرية وبه يقوم الإنجاز الحضاري.

وقد تمثّلت أول خطوة منهجية في مقاربته الفكرية، تحليله للمشكلات الواقعية التي يحياها الإنسان المسلم، من خلال اتّصاله الدائم بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الجزائري المسلم، معتبرًا إياه عينةً جزئيةً تمثّل تمثيلًا كليًّا باقي المجتمعات العربية والإسلامية.

عند وضعه لقانون التغيير ودور التربية بالتحضر وضح ابراز العوامل والأبعاد التربوية التي يراها كفيلة بعملية البناء الإجتماعي والتي كانت مطابقة للواقع الذي يعيشه الإنسان المتخلف من خلال غرس المبادئ الأخلاقية التي تعد الإنسان ثم تكوين الصلات الإجتماعية الفعالة والذوق المجتمعي العام إضافة إلى العمل على التكوين الفني والمهني والصناعي وتنمية الوعي وتربية الإرادة وتويه راس المال والثقافة ...الخ

وفي الأخير كان لزاما ان تتساءل ماذا بعد أن تحققت لدينا هذه المعرفة الواسعة عن ابن نبي وخطابه الفكري؟ فهل اكتملت المهمة وقفلت وانتهت فلا عقب لها ولا لاحق؟ أم أن هناك سؤالا يطرح في مثل هذه الحالات هو: ماذا بعد؟

"إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، ولكن منطق العمل والحركة فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاما مجرداً، وإنها لشريعة السماء: غير نفسك، تغير التاريخ"!

مالك الذي عالج قضية الحضارة – كما لم يسبقه إليها أحدُ من قبل – وكان ضحية فكره التقدمي، قال لزوجته وهو على فراش الموت إنه سيعود بعد خمسة وعشرين عاماً، أي أن مشروعه سيبرز للوجود بعد جيل كامل من وفاته، غير أنه – وبكل أسف – ظل حبيس أرفف المكتبات.

إن مشروع مالك بن نبي وتراثه الفكري حقيق أن تلتفت أنظار الأمة إليه، وأن تطرحه للبحث والدراسة، وأن تتمثله سلوكاً فعلياً في واقع نهضتها إن أرادت أن تخلع الانحطاط من عنقها، فلئن كانت نهضة أو مشروع حضارة فلا يُفتى ومالك في المدينة!

وفي الأخير نستنتج أن العلاقة التي تربط التربية بصنع الحضارات في فكرة مالك بن نبي تتلخص في موقع الإنسان بعد إعداده دينيا أخلاقيا ونفسيا وماديا في بناء مشروع الأمة، خاصة وأن الحديث عن الإنسان هو إشاءة لدور التربية في تشييد الحضارات لأن الأخيرة مبرر لوجود التربية والعلاقة التي تربط بينهما كعلاقة الشرط بالمشروط إذا وضع أحدهما ثبت الآخر وإذا رفع رفعت الحضارة وزالت.

المصادر والمراجع

I. المصادر

1. القرآن الكريم:

1) سورة الاسراء، الآية 70.

2. الكتب:

1) بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين (ط1) بيروت دار الفكر.

2) مالك بن نبي **التأملات**، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية.

3) مالك بن نبي **ميلاد مجتمع**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1968، دمشق، سورية.

4) مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، دمشق.

5) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، دار القلم، دمشق، ط4، 2000م.

6) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، الطبعة الأولى دمشق دار الفكر.

7) مالك بن نبي، شروط **النهضة**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992.

8) مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، تر: مروان القنواني – عبد المجيد النعنعي، دار الفكر، دمشق، ط02،1984.

9) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، (تر) بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق سورية.

10) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر.

11) malek bennabi: la réalité et le devenir, dar alem el afkar, édition en algérie ,2004.

II. المراجع

1. الكتب

1) الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية، ط خاصة 2013، الجزائر.

2) بدران بن مسعود بن حسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر.

3) برغوث الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، ط2 , دار قركبة للنشر والتوزيع.

4) بلحنافي جوهر، فكر مالك بن نبي من التنظير إلى اتطبيق التجربة الماليزية تاريخ النشر 2022-05-01.

5) بوسنات رقية، (بدون ت) التربية في فكر مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

6) بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد والمجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، وحدة بحث " تنمية الموارد البشرية " جامعة محمد لمين دباغين سطيف.

7) جيلالي بو بكر، البناء **الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة ،2010، باب الواد، الجزائر.

8) خديم حكيمة، إشكالية النهضة في الجزائر "دراسة مقارنة لتجربة النهضة بين ماليزيا والجزائر، جامعة الجزائر 3 ماجيستير في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية.

9) زكي ميلاد، باحث في الفكر الإسلامي والاسلاميات المعاصرة.

10) شمس الدين عروة، مالك بن نبي وقضية التربية، مقال مرصد ومدونات عمران.

11) الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، بيروت، ط01، 2002.

12) عائشة عباس، ابعاد التجربة التنموية في ماليزيا "دراسة تحليلية في الخلفيات، الأسس، الآفاق، ألمانيا ط1، المركز الديمقراطي العربي.

13) عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، شبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012 بيروت، لبنان.

14) عبد القادر بوعرفة، الحضارة وفكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، ط1، دار رياض العلوم الجزائر.

15) عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي ط1، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر.

16) عبود عبد الغني، التربية الاقتصادية في الإسلام، القاهرة، مكتبة.

17) علي أسعد وطفة، أصول التربية (إضاءات نقدية معاصرة) لجنة التعريف والتأليف والنشر.

18) عمار طالبي، فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر، جامعة قطر مكتب وطريق العلم 2016.

19) عمر النقيب، مقومات مشروع بناء الإنسان الحضاري في فكر مالك بن نبي التربوي، الجزائر: الشركة الجزائرية اللبنانية، 2009.

20) لكحل فيصل استاذ محاضر (أ)جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية، العدد 01، المجلد 01.

21) محمد أركون، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ط2 , دار الطليعة، بيروت لبنان.

22) محمد العبده **مالك بن نبي مفكر إجتماعي وارئد إصلاحي**، دار القلم، ط1، 2006، دمشق، سورية ص 23.

23) محمد حسين يوسف، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، (ظ1)، الجزائر دار الخلدونية.

24) محمد كمال حسن، ملامح في تطبيق منهج الاسلام الحضاري تر: عبد العزيز برغوث، دار الثقافة الاسلامية الكويت ط1 2008.

25) Benaissa omar, malek ben nabi, dans l'histoire de l'intellect islamique, présentation omar kamel meskawi, dar al-fikr, syrie.

2. المجلات

1) د الكبار عبد العزيز، صغير حياة، التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة منيرفا، مجلد 04، العدد **1**، قسم العلوم الإجتماعية، ديسمبر **2017**، جامعة تلمسان، الجزائر.

2) دهيمي زينب، فريد بوبيش، الإستارتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة دراسات تقنية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد **11**، ديسمبر **2013**،

3) محمد بابا عمي، مشكلة المعرفة والخصوصية الإسلامية عند المفكر مالك بن نبي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان.

1. الرسائل الجامعية

1) أرفنير علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

2) بلال محمد سعيد المصري، تجربة ماليزيا في التنمية الاقتصادية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف سمير مصطفى ابو مد الله، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الازهر، 2016 غزة.

3) حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: صالح حسن الرقب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية ،2005، غزة.

4) سليمان الخطيب، رسالة دكتوراه (فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر.

5) العابد الميهوب، الفكر **التربوي عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة دكتواره العلوم في علم الإجتماع تحت إشراف: نور الدين زمام، قسم العلوم الإجتماعية ،2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة.